النجم الثاقب

في أشرف المناقب

الحسن بن حبيب

تحقيق

الدكتور محمد مصطفى الذهبي

دار الحديث

القاهرة

النَّجمُ الثَّاقِبُ

فِي أشْرَفِ المَنَاقِبِ

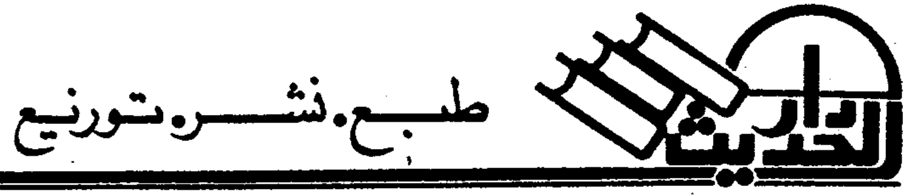
الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

رقم الإيداع ١١٣٥٥/ ١٩٩٥

الترقيم الدولي I.S.B.N

977-5227-7-2



١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر

تليفون : ٥٩١٨٧١٩ - ٥٩١٩٦٩٧ - ٥١١٣٠٣٦ فاكس : ٥٩١٩٦٩٧

النجم الثاقب

في أشرف المناقب

الحسن بن حبيب

تحقيق

الدكتور مصطفى الذهبي

دار الحديث

القاهرة

بسم اللہ الرحمن الرحیم

تقريـــظ

بقلم الأستاذ الدكتور العالم الجليل بدوى طبانه

التحيات الطَّيبات للأخ الكريم ، المؤمن بربه ، الناصر لدينه ، الناشر لذخائره النافعة ، ودُرَره الفريدة ، ليقرن صلاح الأبدان الذى أوفَى فى صناعته على الغاية بطب الأرواح يشفى به صدور قوم مؤمنين والحمد لله رب العالمين .

بدوى طبانه

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّر
مقدمة المحقق

الحمد لله الذى بَرَأَ النَّسَم ، وأفاض النِّعَم ، وأوجد الأشياء من بعد العدم، وخلق الأنوار والظُّلَم .

وأصلى وأسلم على السِّراج الوهَّاج ، صاحب الإسراء والمعراج ، صفوته من العباد ، وشفيع الخلائق فى المعاد ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، من تناسخته أرحامٌ مُطَهَّرة ، وأصلابٌ مُكَرَّمة ، فأدَّته طاهراً نِجاره[1] ، زاكياً نصابه ، مُتَوسِّماً نور النبوة بين عينيه ، مُعَايناً خاتم النبوة بين كتفيه ، وأصحبه ربه بالمعجزات الباهرات ، وشيَّعه بالآيات النيرات ، وأرسله إلى الثقلين بشيراً ونزيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وأذل لوطأته الشرك والأباطيل ، حتى علا « نجمه الثاقب » والنهار غير محتاج إلى دليل ،صلى الله عليه وعلى آله صلاةً مستمرة الدوام ، جديدة على مرِّ الليالى والأيام .

---

(١) النِجار : الحسب .

وبعد . . . فإنه لما منَّ الله علىَّ بتحقيق « المقتفى من سيرة المصطفى » لابن حبيب الحلبى ، رجوت الله أن أتبعه بـ « النجم الثاقب » فى مناقب النبى الهاشمى ، إذ الحديث عن سيرته ومناقبه ﷺ ذو شجون ، وهو المخصوص بقوله ﴿ وإنَّ لَكَ لأجراً غيرَ مَمْنُون ﴾ بيد أن الكتاب لصغر حجمه، ووفور علمه ، قد بلغ فى الإيجاز إلى حدِّ الإلغاز ، فصرتُ فى الليل والنهار سميره، حتى أسرَّ لى بسِرِّه وضميره ، وأطلعنى على حوره المقصورات فى الخيام ، وكشف لى عن وجوه مُخَدَّراته اللِّثام .

والله أسأل أن يلهمنى السداد ، وأن ينفع بهذا السِّفر العباد ، وأن يجعلنى من خدَّام جناب نبينا الأزهر ، وأن يسقنى من حوضه الشهير بالكوثر ، كما أدعوه أن يعفو عن ذلاتى ، ويَسْمَح عن هفواتى ، فإنى متطفل على ذلك ، ولست من فرسان تلك الممالك ، ولكنى استمد من طَوْلِه، واستعذّ بقوته وحوله ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

القاهرة فى :

١٤ من جمادى الأولى ١٤١٦ هـ

دكتور

مصطفى محمد حسين الذهبى



ترجمة المؤلف (*)

الإمام المسند الأديب المؤرخ

الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب

(٧١٠ - ٧٧٩ هـ)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه :

هو الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن شويخ بن عمر ، بدر الدين ، أبو محمد وأبو طاهر ، الدمشقى الأصل ، الحلبى المولد والنسبة ، الشافعى المذهب .

مولده ونشأته العلمية ومسموعاته :

ولد الحسن بن عمر بن حبيب بحلب الشهباء فى شعبان سنة عشر وسبعمائة ، ونشأ فى بيئة علمية دينية ، فأبوه هو الإمام العالم الحافظ عمر ابن الحسن بن عمر بن حبيب ، زين الدين ، الشافعى (٦٦٣ - ٧٢٦ هـ) ، سمع من مشاهير عصره حتى خرَّج له الحافظ الذهبى مشيخة فيها أكثر من

(*) مصادر الترجمة :

المنهل الصافى لابن تغرى بردى (٥/ ١١٥) ، أنباء الغمر لابن حجر (١/ ١٦٣) ، الوافى بالوفيات للصفدى (١٢/ ١٩٥) ، البدر الطالع للشوكانى (١/ ٢٠٥) ، النجوم الزاهرة للسيوطى (١١/ ١٨٩) ، شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٢٦٢) ، الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ١١٣) ، درة الأسلاك لابن حبيب (ص ٤٩٦ من مخطوط دار الكتب المصرية) ، كشف الظنون لحجى خليفة (١/ ٧٣٧) ، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (١ / ٨٨) ، الأعلام للزركلى (٢/ ٢٢٦) ، إعلام النبلاء للطباخ (٥ / ٦٦) ، مقدمة التحقيق لكتاب «تذكرة النبيه» للدكتور محمد أمين ، وهى ترجمة دقيقة وافية شاملة (١ / ٧ - ٢٧) .

خمسمائة شيخ ، وسمع عليه بحلب الكثيرون ، من بينهم أولاده الخمسة : الحسن ، ومحمد، والحسين ، وعلى ، وأحمد .

وكان الشيخ عمر حريصاً على تنشئة أولاده نشأة علمية دينية ، وكثيراً ما صحبهم معه لحضور مجالس العلم .

وتذكر لنا المصادر أن ابن حبيب أُحْضِرَ فى الشهر العاشر من عمره على إبراهيم وعبد الرحمن بن صالح العجمى لسماع جزء من حديث أصحاب أبى على الحداد، كما أُحْضِرَ على بيبرس العديمى لسماع « المصافحة » وغيرها، وسمع كتاب « الدعاء » للمحاميلى ، وكتاب « المواعظ » لأبى عبيد القاسم بن سلام ، وكتاب «السرائر » لأبى هلال العسكرى على الشيخ شمس الدين أحمد بن عبد الرحمن بن العجمى .

وفى الخامسة من عمره سمع ابن حبيب « مسند أبى داود الطيالسى » على الرئيس تاج الدين أبى المكارم محمد بن أحمد النصيبى الحلبى الشافعى ، وكذلك سمع « مشيخة ابن كليب » على الشيخ شمس الدين بن محمد بن إسحاق الجعفرى الحلبى .

وقد انتهز الحسن بن حبيب فرصة قدوم الكثير من العلماء والأدباء إلى حلب - والتى كانت تعتبر فى ذلك الوقت من أشهر المراكز الحضارية بالشام- فتردد على مجالسهم العلمية للإفادة منهم .

ومن هؤلاء الذين وفدوا على حلب وتوطدت الصداقة بينهم وبين ابن حبيب وأفاد منهم ، وأجاز بعضهم له ، الشيخ بهاء الدين محمد بن على بن سعيد الأنصارى الشافعى ، وابن نباتة المصرى الذى تلقى عنه الأدب ، والشيخ الإمام صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلىّ ، والشيخ الإمام

الأديب المحدث محمد بن جابر الوادى آشى الملكى .

رحلاته العلمية :

توجه ابن حبيب إلى الحجاز من أجل الحج والزيارة وطلب العلم مرتين ، **الأولى**: سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، بصحبة أخويه كمال الدين محمد وشهاب الدين أحمد ووالدته ، **والثانية** : سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، بصحبة أخيه كمال الدين محمد وبعض أصدقائه ، وفى المدينة المنورة - فى زيارته الأولى - التقى بالشيخ أبى البركات أيمن بن محمد السعدى الأندلسى التونسى حيث سمع منه نظمه وفوائده .

وفى سنة ست وثلاثين وسبعمائة رحل ابن حبيب إلى القاهرة حيث مكث بها ستة أشهر اجتمع خلالها بطائفة من أهل العلم والحديث ، وسمع منهم ؛ أمثال العلامة بهاء الدين محمد بن على بن سعيد الأنصارى الشافعى الشهير بابن إمام المشهد ، والشيخ المسند أمين الدين أبو الفضل عبد المحسن بن محمد بن على بن الصابونى المصرى ، والشيخ الفقيه شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم الأنصارى الشافعى ، والشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن غالى بن نجم بن عبد العزيز الدمياطى القاهرى المعروف بابن الشماع ، والشيخ عز الدين أبو محمد عبد المؤمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر العجمى الشافعى .

علاقته بمؤرخى عصره :

كما عاصر ابن حبيب عدداً كبيراً من مؤرخى مصر والشام والعراق ، وارتبط معهم بعلاقات طيبة أمثال : ابن فضل الله العمرى ، وابن الوردى، وابن أيبك الصفدى ، وتاج الدين السبكى ، وعلم الدين البرزالى.

ثناء العلماء عليه :

قال ابن حجر فى « الدرر الكامنة » :

وصنف « درة الأسلاك فى دولة الأتراك » سجع كله يدل على اطلاع زائد واقتدار على النظم . . وكان فاضلاً كيِّساً صحيح النقل .

وقال ابن تغرى بردى فى « المنهل الصافى » :

وكان له فضل ومشاركة جيدة ، واليد الطولى فى النظم والنثر ، وله سماع ورواية ، ومؤلفات مفيدة .

وقال عنه العينى فى « عقد الجمان » :

وله شعر رائق ونثر فائق كالشهد فى حلاوته والدر فى طراوته ، فاق أدباء زمانه ، وشهد له سلفه بالتقدم على أقرانه .

وقال ابن قاضى شهبة فى « طبقات الشافعية » :

المسند الأديب ، المنشىء المؤرخ، قال الشعر الحسن . . . وله كثير من التصانيف اللطاف .

وظائفه ووفاته :

باشر ابن حبيب كتابة الحكم العزيز ، وكتابة الإنشاء ، والتوقيع الحكمى ، وغير ذلك من الوظائف الدينية ، وذلك فى كل من دمشق ، وطرابلس، وحلب ، وأفاد من ذلك كثيراً فى ثقافته ، ثم تخلى ابن حبيب عن الوظائف العامة وانقطع فى آخر عمره بمنزله حتى وفاته فى ٢١ ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، ودفن بتربة أرغون خارج باب المقام .

مؤلفاته :

ترك ابن حبيب ثروة كبيرة من المصنفات فى شتى العلوم الدينية والأدبية والتاريخية ، لم يطبع منها إلا القليل ، وما بقى منها مخطوطاً فى المكتبات كثير ينتظر من يخرجه إلى النور ، فضلاً عن المفقود منها والذى لا نعرف عنه أكثر من عنوانه ، ومن أشهر مؤلفاته :

١ - أخبار الدول وتذكار الأول ، ويعرف بـ : جهينة الأخبار فى ملوك الأمصار (مطبوع) .

٢ - إرشاد السامع والقارى المنتقى من صحيح البخارى .

٣ - التوشيح فى شرح الحاوى .

٤ - درة الأسلاك فى دولة الأتراك .

٥ - دليل المجتاز بأرض الحجاز ، وتعرف أيضاً بـ : رحلة الشيخ حبيب.

٦ - الشذور : وهو مجلد لطيف من مقطعاته الشعرية .

٧ - تشنيف السامع فى وصف الجامع : (فى وصف جامع بنى أمية والشام وأخبار دمشق) .

٨ - نسيم الصبا : (وقد طبع هذا الكتاب مراراً) .

٩ - الكوكب الوقاد من كتاب الاعتقاد : انتقاه من كتاب « الاعتقاد» للإمام البيهقى .

١٠ - معانى أهل البيان من وفيات الأعيان (لابن خلكان) .

١١ - الفوائد المنتقاه من تاريخ صاحب حماه .

١٢ - نفحات الأرج من كتاب « تبصرة الفرج » لابن الجوزى .

١٣ - تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه (مطبوع فى ثلاثة مجلدات بتحقيق : دكتور محمد محمد أمين) .

١٤ - المقتفى من سيرة المصطفى (طبع بتحقيقنا فى دار الحديث بالقاهرة).

١٥ - النجم الثاقب فى أشرف المناقب : طبع بدون تحقيق ضمن «جواهر البحار فى مناقب النبى المختار» للعلامة النبهانى ، وهو الكتاب الذى نقدمه اليوم للقارىء فى ثوبه الجديد .



وصف المخطوط

مخطوط « النجم الثاقب فى أشرف المناقب » التى عثرت عليها نسخة وحيدة[1] ، وهى محفوظة فى مكتبة « ولى الدين » تحت رقم ١٨٢٨ (٩) ، وعلى صفحتها الأولى « كتاب النجم الثاقب فى أشرف المناقب ، للشيخ الإمام العلامة بدر الدين حسن بن حبيب ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ، بمنه وفضله وكرمه » .

والمخطوطة تقع فى ٣٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ مسطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر ١٣ كلمة ، وكتبت بخط نسخ جيد ، وتاريخ كتابة هذه المخطوطة هو عام ٨٠٧ هـ ؛ أى قريبة عهد بالمؤلف .



(١) توجد نسخة على ميكرو فيلم بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٥٢ ، عن نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، كما توجد صورة لهذه النسخة أيضاً فى مكتبة الأمبروزيانا ولم أتمكن من الحصول عليهما .

منهج التحقيق

يتلخص منهج تحقيق هذا الكتاب فى النقاط التالية :

١ - شرعت فى نسخ المخطوطة ، وراعيت فى النسخ قواعد الرسم الإملائى، وحيث أنه لا يوجد تحت يدى نسخة أخرى من هذه المخطوطة حتى يمكن الاستعانة بها ومقابلة نسختنا بها ، فقد اعتمدت فى تقويم النص على مقابلته بالمطبوع ضمن « جواهر البحار » .

٢ - عزوت الآيات الكريمة إلى سورها ، وبينت أرقامها ، ورسمتها بالرسم الإملائى تسهيلاً فى قراءتها .

٣ - خرَّجت الأحاديث النبوية التى تضمنها الكتاب من أمهات كتب السنة، وكذلك عزوت ما ورد من خصائص النبى ﷺ ومناقبه إلى مصادرها الأصلية .

٤ - عُنيت بضبط الآيات القرآنية والشعر وكل ما يحتمل اللبس .

٥ - عُنيت بشرح الغريب من الألفاظ الغامضة الواردة فى النص وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب اللغة ، وكتب غريب الحديث .

٦ - اكتفيت بعمل الفهارس الأتية :

أ - فهرس للآيات القرآنية .

ب - فهرس لمصادر التحقيق .

جـ - فهرس لموضوعات المقدمة والتحقيق .

صورة الورقة الأولى من مخطوطة « ولى الدين »

على محمد المختار وعلى أهل بيته الأطهار وآله وأولاده وأصحابه وعلى أزواجه

وطائفتهم وأحبابه وعلى الأنصار والمهاجرين وعلى التابعين لهم بإحسان صلاة

مقرونة بالسلام المفضل مشتملة على التكريم والتشريف والتعظيم والتبجيل

يا خاتم الرسل ويا من له ظل على من تحته ظليل

يا معدن الجود وبحر الندى يا صاحب القدر النبيه النبيل

يا من إذا أمه قاصد يلقاه بالوجه الجلي الجليل

كن لي شفيعا من ذنوبي فقد ألفيت منها تحت حمل ثقيل

وانظر لحالي واسقني شربة من حوضك الحالي تروي الغليل

إني تطفلت على مادحي وصفك مع البك الأثير الأثيل

إذ قلت في مدحك ما قلته وهو قليل من كثير جزيل

فاقبله مني وأثبني به جائزة جائزة للجميل

فضلك لا أحصره واصفا إن الذراري حصرها مستحيل

صلى عليك الله رب العلا والعرش ما هب النسيم العليل

والحمد لله على فضله وحسبنا الله ونعم الوكيل

جزء أملاه الكاتب وانتهى مسير القلم الثاقب بتيسير من أرشد إلى المعرفة وألهم وتوفيق من علم الإنسان ما لم يعلم عليه توكلت وإليه أنيب وهو المسؤول في بلوغ المأمول إنه قريب مجيب قال مؤلفه عفا الله عنه بدأت في إنشائه يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وسبع مائة وفرغت منه يوم الأحد منتصف شوال من السنة المذكورة والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لعز وجهه وكرم جلاله ...

ووافق الفراغ من [illegible] نهار [illegible] من شهر صفر سنة [illegible]

[illegible] يوسف [illegible]

صورة الورقة الأخيرة من مخطوطة « ولى الدين »



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الوليّ الحميد ، المبدئ المعيد ، الفتَّاح العليم ، رب العرش العظيم ، الذي يَخص من يشاء بمناجاته ، ويعلم حيث يجعل رسالاته ، والصلاة والسلام ، على رافع قواعد الإسلام ، والمرسل بالرأفة والرحمة ، والمبعوث لكشف الظلم والظلمة ، الذى عمَّ بفضله المقترب والمغترب ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى آله الأبرار ، وأصحابه الأخيار ، ما جرت الأنهار ، وتعاقب الليل والنهار .

وبعد . . .

فهذه أوراق ، أينع ثمر أغصانها وراق ، وتشتمل على ثلاثين فصلا ، مُحْرزة في ميدان الإيمان للسبق خصلا ، حاملة ألوية الشرف ، رافلة فى مطارف الطّرف ، مفصحةً بتعريف أحوال المصطفى ، منجحة قصد من اتَّبع آثاره واقتفي ، نحوت بها نحو القاضي عياض[1] في شفائه ، مهتدياً

(١) هو الإمام العلامة الحافظ الأوحد ، شيخ الإسلام ، القاضى أبو الفضل عياضُ بن موسى ابن عياض اليحصبى الأندلس ، ثم السَّبْتىُّ المالكى ، جمع وألف ، وسارت بتصانيفه الركبان ، وتواليفة نفيسة ، وأجلُّها وأشرفها كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ، وقد شغف العلماء بهذا الكتاب ، ووضعوا له الشروح والحواشى [كشرح ملا على القارى]، وخرجوا أحاديثه [كالإمام السيوطى] ، وحرروا ألفاظه [كالإمام الشمنى] ،=

بالناشطات السابحات فى فلك سمائه ، وسميتُها : (**النجم الثاقب فى أشرف المناقب**) وعلى الله أتوكل فى الحركة والسكون ، وبرسوله أتشفعُ يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون .

يا خيرَ مبعوثٍ له طلعةٌ
نورُ الهدى منها أقرَّ العيونْ
جئتُ إلى ناديك أرجو الندى
من غيث كفَّيك المغِيثِ الهَتُوْنْ
كنْ لى شفيعاً فارتكابُ الهوى
أوقعني بين الشَّجى والشجونْ
صلَّى عليك الله سبحانه
ما هزَّت الريحُ قدود الغصونْ



=والله يثيبه على حسن قصده ، وبنفع ب « شفائه » . توفى سنة ٥٤٤ هـ . (سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٢١٢ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٨٣ ، وتذكرة الحافظ ٤ / ١٣٠٤ ، وشذرات الذهب ٤ / ١٣٨) .

فصـــــل

فى فضله وعظيم قدره عند ربه ﷺ

اعلم وفقنا الله وإياك ، وأتحفك بهديَّة الهداية وحيَّاك ، أن رسول الله ﷺ أفضل البشر على الإطلاق[١] ، وأنَّ لسـيـادته على ولد آدم أدلـةً ظاهرةَ الإشراف والإشراق ، وأنه أرفع الناس درجةً وأقربهم زلفى ، وأكرمهم منزلة عند من يعلم السِّر وأخفى ، وأن الله تعالى خـصَّه بمناقب عديدة ، وفضائلَ مفيدة ، ومحامدَ كثيرة ، ومآثرَ أثيرة ، ومنحه بكرائم الكرامة ، وأعلى في الدارين مقاله ومقامه ، وأظهر على يديه الآيات ، وأقام له الألوية والرايات، وكمل فيـه جميع المحاسن، و أفاض عليه من عين العناية مـاء غير آسن[٢] ، وفضَّله على خـاصته وأحبـابه ، وأثني عليه فى مواضع من كتـابه ، ونصره بالرعب مسـيرةَ شـهر ، وأبقى معـجزته ما بقى الـدهر ، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً ، ولقَّى من نظر إلى وجهه الكريم نضرةً وسروراً ، وأحلَّ له الغنائم ، ودفع به العظائم ، وبعـثه إلى الناس كافة ، وكـلأه بحفظةٍ لم تزل من حوله حـافَّة ، ونوَّله الشفاعـة، وأرسله بين يدى الساعـة ، وصرف عنه الأذى وأنزل عليـه من المِنَّة ، وكتب اسـمهُ عـلى العرش وعلى مـواضعَ من الجنة[٣]، وأطال فى وصفـه وأطنب ، وأعطاه أن لا تجوعَ أمـته ولا تُغلب ،

---

(١) وإلى هذا أشار الناظم :

وأفضل الخلق على الإطلاق   نبينـــا فَمِل عــن الشِّقاق

(٢) آسن : متغير لا يشرب .

(٣) انظر الخصائص الكبرى (١ / ٣٣) ، وسيرة ابن كثير (١ / ٣٢٩) ، والسيرة الشامية (١ / ١٠٣) .

وأيده بالبراعة واللسن ، وركَّب فيه كل خُلُق حسن .

تبـــــارك مـن حَمَاهُ ومن حَبَاهُ
بحـــــسن الخَلْق والخُلُق العَظـيم
وســــــددَّ قَــوله وبــه هدانـا
جــمـيـعـاً للصِّرَاط المُسْتَقــيم
وأغـنى أهـلَ مـلَّتـــــــــه بـدُرٍّ
أتى من بـحــر منـطقــه نَظـيم
وصــيَّره لمن يرجــوه كــهـفـاً
وعـرَّفـه بأصــحـاب الرَّقـيم(*)

وآتاه جوامـع الكَلِم وخَوَاتِمَه ، وملَّكه خوافى الفـضل وقوادمَه ، وألبسه خُلَع الجلال والجـمال ، وأجلسه على ذُروة الشـرف والكمال ، وحضَّ على الاقتداء بهديه ، وأمر بامتثال أمـره ونهيه ، وألزم بريته بالدخول فى طاعته ، وحثَّ علي اتباع سنته وجماعـته ، ونبَّه على علوِّ شأنه لديه ، وفرض الإيمان به والصلاةَ عليه ، وأيده بالملائكة ، وأبرز الخيـرات على يده المباركة، وقرَّبه وأدناه ، وأوحى إليه وناجاه ، وأراه من الآيات الكبـرى ، وكرَّمه وعظَّمه فى الدنيا والأخـرى ، ونصبَ منصبه على بقاع الشَّرف ، ورفع رتبـته إلى أعلى الغرف ، وأعزَّه بـالطاعة ، وأغناه بالقناعة ، وقَلَّبَ له الأعيـان، وأظهر دينه على سـائر الأديان ، وأطلعه على سـائر المعارف ، وأسـبغ عليه من القـبول أحسن المطارف[٤] ، وأولاه كـثيـراً من الخـصائص ، وحـمـاه من العيـوب

(٤) المَطَارِف : جمع المُطرَفُ : رداء أو ثوب من خز مربَّع ذو أعلام .
(*) الرقيم هو اللوح الذى كتب فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم .

والنقائص، وسوَّاه فعـدَّل تركيبه ، وأدَّبه فأحسن تأديبـه ، وعلَّمه ما لم يكن يعلم ، وأرشده إلى حلِّ كل مُشْكِلٍ ومُبْهم ، واتخذه حبـيباً وخليلاً ، وأحلَّه من دار السعادة محـلاً جليلاً ، وأناله من حاصل حُب الحب غايةَ المطلوب ، وغفرله الماضىَ والمستقبل إذ المحبوب لا يؤاخذُ بالذنوب .

هو الحـبـيبُ الذى أنوارُ طلعـتـه
تَخْفى إذا عاينَتْها الشـمس والقمرُ
هو الإمـــام الذى مُذْ أمَّ طـالعُهُ
سُرَّ الزمـانُ به واسـتبـشـر البَشَرُ
قد خُصَّ بالخُـلة المأنوسِ مـعهدها
وبالمحـــبـــة ممن أمـــرهُ قـــدرُ
لا غَرْوَ إن عادَ بالـغفرانِ مُغْتـبطاً
إن الذنوبَ من المحـــبـوبِ تُغْتَفَرُ

ونصَّ على وجـوب توقيـره وبره ، وحكم بلزوم نصـحه وتعظيم قـدره، وجَبَلَهُ على الصيانة والعفاف ، وعـدل به ميزان العدل والإنصاف ، وزيَّن به الوجود، وقلَّده بعقـود العهود ، وأفرده بإيداع سره المصـون ، وعضَّده بقرآنٍ كريمٍ فى كـتابٍ مكنون ، وسـمَّاه بجملةٍ من أسـمائه ، وختم بمسـكه رحيقَ أنبيائه ، ونوَّه برفعة مكانته وشرف مَحْتِدَه[٥] ، وأنزله منزلاً فاق الأفق وعلا علي فَرْق فَرْقَده[٦] ، ومنح جانبـهُ العزيز لينا وذاتهُ الكريمة لطفـاً ، وفتح به

(٥) مَحْتَدُه : أصله .

(٦) الفَرْقَدُ : نجم قـريب من القطب الشمـالى ثابت الموقع تقريبـاً ، ولذا يُهتـدى به ، وهو المسمى : النجم القطبى .

أعيناً عـمياً وآذاناً صـماً وقلوباً غُلْفاً ، ورقى به أمـته إلى أرفع الدرج ، ولم يجعـل عليه ولا عليـهم فى الدين من حَرَجْ ، وعرَّفـه بما أخرج لعـباده من زينته، وأوجبَ له النبوةَ وآدمُ مُنْجَدِلٌ فى طينته[7] ، ولـم يبعث نبياً إلا ذكر له نعتـه ومسلكه ، وأخذ عليـه الميثاق بالإيمان به ونصـره إن أدركه ، ولـم يعط أحدٌ من الأنبياء فضيلة مستفادة ، إلا وقد أعطاه مثلها وزيادة ، وأجري عليه من مواد الفضل مـا توقف عند مجاراته الغيث وتجمَّد ، قـال جبريل: قلَّبْت مشارقَ الأرض ومغاربها فلم أرَ رجلاً مثل محمد[8] .

يا راغبـاً فى حصر فضل مـحمَّدٍ
خَفِّضْ عليك فـفضله لا يحـصرُ

إن قلت مثل الرَّمل أو مثل الحصا
أو مـثل قطر الغـيـث قلنا أكـثـرُ

أكـــرِمْ بــه مـــولىً علـيـــاً قَدْرُهُ
مـــتــقـــدمـــاً كلٌّ له يـتـأخـــرُ

ذا رتبـــةٍ عـــند الإله عظـيـــمـــةٍ
مـعـروفـــهـا بين الورى لا يُنْكَرُ

صلَّى عليـــه الله مـــا هبَّ الصَّبَا
من نحو روضتـهِ الخطيرة يَخْطُرُ[9]

---

(٧) انظر الحـديث فى مسـتدرك الحـاكم (٢/٤١٨ ، ٦٠٠) ، ومـسند أحمـد (٤/١٢٧) ، ودلائل النبوة للبيهقى (١ / ٨٠) ومجمع الزوائد (٨/٢٢٣) .

(٨) عزاه فى مجمع الزوائد إلى الطبرانى فى الأوسط وقال : فـيه موسى بن عبيدة الربذى ، وهو ضعيف (٨ / ٢١٧).

(٩) يَخْطُر : يهتز ويتبختر .

فصـــــل

في ثناء الله عليه فى كتابه العزيز ﷺ

أخبر الله تعالى فى كتابه العـربَ أنه بعث إليهم، رسولاً من أنفسهم عليَّ القدر لديهم، يعرفون فضله ومكانته ، ويتحققون صدقه وأمانته ، عزيزاً عليه مـا يهوي بهم فى الـهوان ، حـريصاً علـى دخولهم إلى دار أمـان الإيمان ، شريفَ النسب فـيهم ، رؤوفاً رحيـماً بمؤمنيهم، وأناله من نيل الكرامـة غاية السُّول ، وقرن طاعته بطاعته فقال : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ ﴾[1] ، وأطلع فى أفق التوفيق نجمه ، ورحم العالمين به فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً ﴾[2]، فمن أصابه شيء من رحمته فقد فـاز ، ووصل إلى كعبة النجاة من غير قَطع حجاز، وحصَّنـه من سُوَر كتابه العزيز بأمنع سور ، وسمَّاه فـيه نوراً بقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ ﴾[3] ، وأرسله شاهداً ومبشـراً ونذيراً ، وداعياً إلي الله بإذنه وسـراجاً منيراً ، وشـرح بالرسالة صـدره ، ووضع عنه وزره الذى أنقض ظهره ، ورفع بذكره معه فى الشهادتين ذكره ، وأظهر دينه على الدين كله وعظَّم أمره ، ورمى المشـركين منه بالمقعـد المقيم ، ونعتـه فى أمِّ الكتاب بالصراط المستقيم ، وآتاه سبعاً من المثانى ، وأكرمه بمنزلةٍ محكمة المبانى .

---

(١) سورة النساء : ٨٠ .

(٢)سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) سورة المائدة : ١٥ . وسـمى ﷺ بالنور لوضوح أمره وبيان نـبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به .

آتاه سبعاً شمسُ آياتها
أضْحَتْ بآفاق الهدى واضحهْ
لها معانٍ سرُّها غامض
يعرفها ذو الصفقة الرابحهْ
سورُ كتاب الله ما حلة
أعظم منها سورة صالحهْ
تختم بالخير لقُرَّائها
وهى لأبواب الرِّضا فاتحهْ

وبعثه حِرزاً للأميين ، ووضع كتابَ الأبرار به فى عليين ، ورفعه إلى المحل الأسنى ، وقرَّبه منه ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾(٤) ، ونزَّه لسانهُ عن النطق بهواه(٥) ، وفؤادهُ عن الكذب فيما رآه(٦) ، وبصرهُ عن الزيغ والالتفات(٧) ، وزكَّي جملته الجميلة وعصمها من الآفات ، وأقسم علي أنه ما ودَّعه ولا قلاه ، ولم يقسم بحياة أحدٍ فى قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾(٨) من الخلق سواه ، وزوى له أرض الخيرات طولاً وعرضاً ، حيث أنزل عليه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾(٩) ، وأيده بأظهر البراهين وأبهر المعجزات ، وأراده

---

(٤) سورة النجم : ٩ .
(٥) قال جلَّ شأنه : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ [النجم : ٣] .
(٦) قال الله تعالى : ﴿ ما كذب الفؤاد ما راى ﴾ [النجم : ١١] .
(٧) قال الله تعالى : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ [النجم : ١٧] .
(٨) قال الله تعالى : ﴿ لعمرك إنهم فى سكرتهم يعمهون ﴾ [الحجر : ٧٢] .
(٩) سورة الضحى : ٥ .

فى تلك الرسل بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَات﴾[١٠]، ودرأ العذاب عن أهل مكة لكونه بواديهم، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم وأَنْتَ فِيْهِم ﴾[١١]، وأمر الذين هم فى حلية الإيمان به مجلون ، أن يُصَلُّوا ويُسَلِّموا عليه بقوله : ﴿ إنَّ اللهَ وَمَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ ﴾[١٢] ، وأعطاه الحوض المعروف بالكوثر ، وردَّ على عدوه بقوله : ﴿إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ ﴾[١٣] ، وطهَّره من الأقذار والأدناس ، وبين عصمته فى قوله : ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[١٤] .

وحماه ممن كان يقصدُ ضُرُّهُ
بيدٍ له مغلولةٍ ولسانِ
ورعاه من نظر العيون بعينِه
وكفاه شرَّ طوارقِ الحدثانِ
وأمدَّه بحراسةٍ وعنايةٍ
محفوفةٍ باللطف والإحسانِ
وهو الجديرُ بأن يُعَظَّمَ قَدْرُهُ
عند القدير مُدَبِّرِ الأكوانِ

وأحسن مخاطبته فى سورة نون ، ووعده فيها بأجرٍ غير ممنوع ولا ممنون ، وأثني عليه ثناءً يَجل أن يحمله رسول النسيم ، وبالغ بالتمجيد والتأكيد بقوله

(١٠) سورة البقرة : ٢٥٣ .
(١١) سورة الأنفال : ٣٣ .
(١٢) سورة الأحزاب : ٥٦ .
(١٣) سورة الكوثر : ٣ .
(١٤) سورة المائدة : ٦٧ .

تعالى : ﴿ وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[15] ، وأتحفه تبارك اسمه في سورة الفتح، بجزيل الصلات الواصلات والمَنْح ، من ظهوره وغلبته ، وعلو شراع شريعتِه وكلمتِه ، وخضوع من ترفَّع من أعدائه وتكبر ، وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإتمام النعمة عليه ، وإرسال الهداية إليه ، ونصره النصر العزيز ، ونصبَ حالَ مَنْ حوله على التمييز ، وأنزل السكينة على قلب من تابعه ، ورضاه عَمَّنْ تحتَ الشجرة من أصحابه بايعه ، إلى غير ذلك مما تضمنته آيات السور المشهورة ، وكم له صلى الله عليه من معارفَ معروفةٍ ومآثرَ مأثورة .

شهدَ الكتابُ بأن أحمدَ مرسلٌ
من صاحب الملكوت جلَّ جلالهْ

كم آية فيها اسمهُ يُتْلى وكم
أخرى بها أوصافه وخِلالهْ

والله أقْسَمَ صادقاً بحياته
في محكمٍ شرح الصدورَ مقالهْ

سبحان من أولاه أنواع الولا
وأنالهُ ما لا يُرَام منالهْ

أزكى الصلاةِ عليه من ربِّ العلا
أبداً وخصِّص بالتحية آلهْ

---

(15) سورة القلم : ٤ .

فصـــــل

فى مولده وشرف نسبه ﷺ

ولد النبى ﷺ بمكة أشـرف البلاد[1] ، وأكرمـها على الله سبـحانه وعلى العبـاد، ومن بحر بحزتهل ظهـرت درَّته اليتيـمة ، وفى أفق سمـائها طلعت شمس طلعته الوسيمة ، يا لها بلدة بركاتهـا نامية ، وموارد فضائلها طامية ، وأركان بيتها بالأمن مأهولة ، وأدعية الطائف بكعـبتها مقبولة ، وحظ القائم بمقامها من السعادة وافٍ ، وعيش الساعى بين صَفَاهَا ومَرْوَتَها صافٍ ، طوبى لمن أقبل علـى حِجْرها وقَبَّل حَجَرَهَا ، وبلغت نفسه من مِنـى مُناها وقضت من عَرْف عَرَفَة وطرها ، وهو دعـوةُ أبيـه إبراهيم[2] ، وبشارةُ عيـسى عليه الصلاة والتسليم[3] ، وصفـوة سلالة قريش وصمـيمها ، ونخـبة بنى هاشم راحلها ومـقيمهـا ، وأشرف العرب بدواً وحـضراً ، وأفضلهم بيتـاً وأعزّهم نفراً، من قـبل أبيه ذي النسب الزاكى نورُ نَضْرته ، وجهة أمـهِ ذات الحسب الزاهر ضوءُ زهرته .

إذا افـتـخـرت قـريـشٌ بالمعـالى

وبالـشَّرف الرَّفـــيع لدى الـكرامِ

---

(١) انظر آراء العلماء فى التفضيل بين مكة والمدينة فى : إعلام الساجد للزركشى (ص١٨٦)، ووفاء الوفا للسمهورى (١/٢٨) ، وشفاء الغرام للفاسى (ص١١٩) .

(٢) فى قوله تعالى : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم** ﴾ [آل عمران : ٨١] .

(٣) فى قوله تعالى : ﴿ **ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾ [الصف : ٦] .

فهاشمها خُلاَصتها ومعنى

عبارة مجدها بين الأنامِ

وسرّ صميمها من ذا يسامى

رسول الله مصباح الظَّلامِ

بعثه الله من خير القرون والقبائل ، واختاره من أرفع البيوت والمنازل ؛ لأنه اصطفى من ولد إبراهيم الخليل ، رافعَ قواعد البيت معهُ إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة ، ومن بنى كنانة قريشاً المعروف بالشرف والمكانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، ومن بنى هاشمٍ سرَّ السراة أبا القاسم ، ولم يزل ينقله من الأصلاب المأهولة بأهلة الصلاح ، حتى أخرجه من بين أبوين لم يلتقيا قطّ علي سفاح[٤] .

تنقَّلتَ فى أصلاب أرباب سُؤددٍ

كذا الشمسُ فى أبراجها تتنقلُ

وسرتَ سرياًّ في بطونٍ تشرَّفت

بحملٍ عليه فى الأمور المعولُ

هنيئاً لقومٍ أنت منهم وفيهمُ

بدا منك بدر بالجلال مُسَرْبلُ

ولله وقتٌ جئت فيه وطالعٌ

سعيدٌ على أهل الوجود ومقبلُ

---

(٤) السِّفاح : الزنا .

ولا يخفى ما جري عند مولده وانتشر[٥] ، وما وافى حين مقدمه المبارك واشتهر ، من ظهور النور الباهر ، وتدلى النجوم الزَّواهر[٦] ، وارتجاج إيوان ملك الفرس كسرى ، وسقوط شرفاته التى كادت أن تعقد بالشِّعرى ، وخمود نارهم الألفية ، وغيض الماء من بحيرة طبرية[٧] ، وحراسة السماء بالكواكب[٨] ، وإضاءة ما بين المشارق والمغارب ، وأنه عليه السلام أقبل مختوناً مسروراً [٩] ، وتجلى فى حلل النبوة محبوباً مَحْبُوراً ، واسترضع فى بنى سعد بن بكر ، وبرىء من أقوال أهل المين والمكر ، وشُقَّ قلبه الحي المتقى ، وغُسِّل بثلج الإرادة حتى نقى ، وختم بخاتم من نور ، تُخفى بهجته الشموس والبدور ، وملئ إيماناً وحكمة ، وحشى بالرأفة والرحمة ، ووزن بمائةٍ من أمته فرجح ، ولو وزن بجميعهم لتبين ترجيحه ووضح .

نبىٌّ طَمَا بحرُ تشريفهِ

وميزان تعظيمهِ قد رجحْ

---

(٥) انظر الخصائص الكبرى (١ / ٧٨) ، ومجمع الزوائد (٨ / ٢٢٠) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٨٥ - ٨٧).

(٦) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٨٨) .

(٨،٧) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ١٥٥ - ١٥٧) .

(٩) جزم بأنه ﷺ ولد مختوناً جماعة من العلماء منهم : هشام بن السائب ، وابن حبيب ، وابن الجوزى ، والحاكم .

وقيل : ختن يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليمة ، وقيل : ختنه جده يوم سابعه وصنع له مأدبة وسمّاه محمداً. انظر الخصائص الكبرى (١ / ٩٠) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم (ص٩٩) ، ومجمع الزوائد (٨ / ٢٢٤) . ومَسْرُوراً : أى مقطوع السُّرَّة .

بمقـــــدمــــــهِ زالَ عنـا العَنَا

وآب النـدى والهـنا والـفــــرحْ

لقـــــد رفع الله مـن قـــدره

كـــثـــيـــراً وللـصَّدر منه شَرَحْ

وأورثه حـكمـــــةً حكمــــهـــا

به الحقُّ بـعـــد الخـــفـــاء اتضحْ

ألا إن من يقـــتـــفـى نهـــجـــهُ

أصـــابَ ومـقـــصـــدهُ قـــد نجحْ

وما رفع به عن حليـمة من الضير ، ومـا حصل لها ولقـومها ببركـته من أنواع الخير ، وما نشأ عليه من بغض الأصنام ، والعفة عن أمور الجاهلية قبل الإسلام ، وما ترادفت به الأخبار ، عن علماء الملل والأحبار ، وما عرَّفَ به الأساقف ، وطرق الأسماع من الهـواتف ، وما أنذر به الكهان ، ونقل عن القسوس والرهبان ، من أنبائه وصفاته ، وأسمائه وعلاماته ، ونبوته وملته ، وبعثته ونعت أمته ، وما وجد من ذلك فى أشعار الموحدين ، وذكر من كلام من مضى من المتقدمين ، وما ألقى فى التوراة والإنجيل ، وبيَّنه من أسلمَ من أهل الكتاب والتنزيل ، وما برز على ألسنة الأصنام وظهر ، وسمع من ذبائح النصب وأجواف الصُّور[١٠] ، وما رُئى مكتوباً على الحـجارة بالخط القديم ،

---

(١٠) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٦٤ وما بعدها) .

من ذكر اسـمه والشهادة له بالرسـالة والتعظيم[١١] ، ولقد خصـه الله تعالى بمزايا الرُّتَب، وأعـرب عن تفضـيله على العجم والعـرب ، ونظر إلى قلوب عباده فانتقى منها قلبه ، وسبـر أحوال خلقه للتقرب منه فلم يختر إلا قربه ، وقسم الناس قسمين فجعله فى خيـرهم قسماً ، وزكَّاه أباً وأماً وأصلاً وفرعاً وروحاً وجسماً .

لمولد خير الرسل أحـمدَ أصبحت

وجـوه الهدى وضَّاحـةً مـتبلجـه

وأشـــرقـت الدنيـــا بـأنوار بدره

وعـادت به أرجـاؤها مـتـأرجـه

وإيوان كـسري اسـقطت شرفـاته

وحُلَّت عُرَا أبراجـــه المُتَبـــرجـــه

ونيـرانُ بيت الفرس باخ لهـيبُهـا

وكـانت لديهم ألفَ عامٍ مُؤَجَّجـه

وكم آيةٍ جـاءت قـــرين قـدومـه

تُنيـــرُ من الحـق المطهـــر مَنْهَجَه

عليـه من الـرحـمن أزكى تحيـةٍ

بأفـضلِ تيـجان الـصلاة مُتَوَّجـه

---

(١١) انظر الخصائص الكبرى (١ / ٦٢) .

فصـــل

فى أوصافة ونعوته ﷺ

كان النبى ﷺ عظيم الهَامَة[١] ، معتدل القَامَة ، أزهرَ اللون[٢] أدْعَج[٣] ، أهدب الأشفار[٤] أبْلَج[٥] ، كثٌّ اللحية واضحَ الجبين ، مُفَلَّجَ الأسنان[٦] أقني العِرْنين[٧] ، متماسك البدن ، أزجّ الحواجب من غير قَرَن[٨] ، سَهْل الخدين[٩] ، طويل الزَّنْدين[١٠] ، عَبْلَ العَضُدَين[١١] ، بعيدَ ما بين

---

(١) الهامة : بالتخفيف : الرأس .

(٢) أزْهر اللون : قيل : نيره . وقيل : حسنه .

(٣) الدَّعَج : شدة سواد العين فى شدة بياضها .

(٤) الأهْدَب : الطويل الأشفار ، والأشفار : جمع شُفر وهو حرف الجفن الذى ينبت عليه الهدْب .

(٥) الأبْلَج : الحسن المشرق المضىء .

(٦) الفَلَجَ : تباعد ما بين الثنايا والرّباعيات .

(٧) العرْنين : الأنف . والقَنى فيه : طوله ودقة أرنبته مع ارتفاع فى وسطه .

(٨) الزَّجَج : تَقَوُّس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد . والقَرَن : اتصال شعر الحاجبين .

(٩) سَهْل الخدين : أى ليس فى خديه نُتوء وارتفاع .

(١٠) الزَّندان : عَظْما الذراعين .

(١١) عَبْلَ العَضُدَين : العبل : الضخم .

المنْكِبين[١٢]، رَحْبَ الكفين[١٣] ، مسيحَ القدمين[١٤] ، أشمّ[١٥] ضليعَ الفم[١٦] أشْنَب[١٧] ، أطول من المربوع[١٨] وأقصرَ من المُشَذَّب[١٩] ، ليس بمُطَهَّم[٢٠] ، ولا قصير الذقن مُكَلْثَم[٢١] ، رَجِلَ الشعر[٢٢] لُجينى الجيد[٢٣]، أحلى الناس من قريب وأجملهم من بعيد ، دقيق المَسْرُبَة[٢٤] واسعَ الصدر ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، الشكل ظاهرٌ بعينيه[٢٥] ، لا يجاوز شعره شحمة أذنيه ، إذا مشى كأنما ينحطُّ من صَبَب[٢٦] ، وإذا نطق أتى من جوامع الكلم بالعجب .

---

(١٢) المنكِب : مجتمع رأس العَضُد والكتف . وبعد ما بين المنكبين يدل على سعة الصدر والظهر .

(١٣) رَحْبَ الكفين : أى واسعها .

(١٤) مَسِيح القدمين : أى مَلْساوان لينتان فإذا أصابهما الماء نبا عنهما سريعاً لملاستهما .

(١٥) الشَّممَ : ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلاً .

(١٦) الضَّلِيع : أي عظيم الفم . وقيل : واسعه . والعرب تمدح عظم الفم وتذم صغره .

(١٧) الشَّنبَ : البياض والبريق والتحديد فى الأسنان . وقيل : هو بَرْدها وعذوبتها .

(١٨) المربوع : الذى بيْن الطويل والقصير .

(١٩) المُشذَّب : البائن طولاً مع نقص فى لحمه . أى طوله ﷺ وعرضه متناسبان على أتم صفة .

(٢٠) المُطَهَّم : هو المنتفخ الوجه . وقيل : الفاحش السمين .

(٢١) المُكَلْثَم : وهى من الوجه القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير مع خفة اللحم .

(٢٢) رَجِلَ الشعر : أى بين السبوطة والجعودة .

(٢٣) الجيد : العنق .

(٢٤) المَسْرُبَة : الشعر المُسْتَدق ما بين اللَّبة إلى السّرة .

(٢٥) من قولهم شَكِلت العين : خالط بياضها حُمرة .

(٢٦) الصَّبب : الموضع المنحدر من الأرض ، وذلك دليل على سرعة مشيه ؛ لأن المنحدر لا يكاد يثبت فى مشيه .

جميلُ الصِّفاتِ جزيلُ الصّلاتِ

غزيرُ الهباتِ كثيرُ الأدبْ

بديعُ الجمالِ رفيعُ المنالِ

عديمُ المثالِ عظيمُ الحسبْ

مليحُ الشمائلِ بادى السَّنا

بسيطُ الأناملِ عالى الرتبْ

به أرشد الله أهلَ النهى

به شرَّف الله جيل العربْ

وكان طيِّب الريح والاسم ، نظيف البدن والجسم ، أطيب ريحاً من العنبر ، وأذكى عَرْفاً من المسك الأذفر(٢٧) ، يَتَضوَّعُ طيباً ، ويهتزُ غصناً رطيباً ، تختفى من شذاه جونة العطَّار ، وتتأرج بنشره الأرجاء والأقطار ، يصافح الرجل فيظل يومه يجدُ فى كفه نَشْرَا ، ويضع يده على رأس الصبى فيُعرف من بين الصبيان عطرا ، ما مشى من طريق فمشى فيه أحدٌ من بعده ، إلا عرف أنه سَلَكَهُ من ريحه الذى لا ند لنده(٢٨) .

وجهُ الوجود بنور أحمدَ مشرقٌ

وبعَرْفِهِ أرجاؤه تتأرجُ

---

(٢٧) المسْكُ الأذفر : الجيد إلى الغاية ، والعَرْف : هو الريح الطيب .

(٢٨) كانت الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيباً . ومع هذا كان يستعمل الطيب فى أكثر أوقاته مبالغة فى طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحى ومجالسة الصحابة . وروى أن مبدأ هذه الرائحة الطيبة بجسده ﷺ من ليلة الإسراء .

الطِّيبُ يُطوى عند فائح نَشْره

والرَّوضُ يَخْفى زهُره المتبرجُ

وكان دَمث الأخلاق ، غزير الإرفاد[٢٩] والإرفاق[٣٠] ، خافض الطرف سائلَ الأطراف[٣١] ، جزيل المحاسن جميل الأوصاف ، ثابت الأساس ، قوى الحواس، يرى الشياطين ويرى الملائكة ، وكما يُبْصِرُ فى الضوء يُبْصِرُ فى الظلمة الحالكة[٣٢] ، وينظر من ورائه كما ينظر من بين يديه[٣٣] ، ويرى فى كف الثريا أحد عشر نجماً إذا نظر إليه[٣٤] ، ضحكه التبسم ، وشيمته التكرم ، يَفْتَرُّ عن مثل حبِّ الغمام[٣٥] ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، يخرج النور من بين ثناياه ، ويغار النسيم من لُطف سجاياه ، الملاحظة جُلّ

---

(٢٩) الإرفاد : الرِّفْدُ : العطاء والصلة .

(٣٠) الإرفاق : العون والنفع .

(٣١) سائل الأطراف : يعنى أنها طِوَال ليست بمنعقدة ولا منقبضة . ورواه بعضهم بالنون بدل اللام فقال : سائن ، وهما بمعنى ، أى طويل الأصابع .

(٣٢) انظر دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٧٤) ، والخصائص الكبرى (١ / ١٠٤) ، وفيض القدير (٥ / ٢١٥) .

(٣٣) قال العلماء : إن الله خلق له ﷺ إدراكاً فى قفاه يبصر به من ورائه ، وقد انخرقت العادة له ﷺ بأكثر من هذا . وقال القاضى عياض : إن هذه الرؤية رؤية عين حقيقة . انظر القرطبى (١٣ / ١٤٤) ، وفتح البارى (٢ / ٣٢٥) ، وموطأ مالك (١ / ١٦٧)، ومسلم (١ / ٣١٩) .

(٣٤) ذكر ذلك القاضى عياض فى « الشفا » ، وجزم به أبو عبد الله القرطبى فى كتاب «أسماء النبى ﷺ» حيث نظم ذلك فقال :

وهو الذى يرى النجوم الخافية مُبيَّنات فى السماء العالية

إحدى عشر قد عدَّ فى الثريَّا لناظرٍ سِواه ما تهيَّا

(٣٥) يَفْتَرُّ : أى يتبسم ، وحَبَّ الغمام : البَرَد شبه به ثغره فى بياضه وصفائه بالبَرَد .

نظره[٣٦]، والمناصحة غاية وَطَره، يمشى هَوْناً لا سريعاً ، وإذا التفت التفت جميعاً [٣٧].

أكــــرم بـه ذا وقـــار
يمـشى عـلى الأرض هَوْنـا
عـندَ المُهِمَّات ذخـــراً
وفـى المُلِمـات عــوْنـا
ســـاد النبــيين طُرّاً
عِلمـاً وفـضـلاً وصـونا
لأن بـــين عُــلاهــم
وبـــين عُلْيَـاهُ بَـــوْنَـا

وكـان طويل السكوت ، مـواظبـاً على الـقنوت ، دائم الفكرة ، مـلازم العبرة، متواصلَ الأحزان ، متحلياً بالعدل والإحسان ، لا يعجبه من مَالَ إلى المال ولَهَى ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، يُعَظـم النعمة وإن دَقَّتْ ، ويصبر على المحنة وإن شقَّت ، من رآه بديهةً هابه ، ومن خالطه معرفةً أحبه ولزم بابه ، لم يُرَ أحـسن منه منظراً ، ولا أطيب خَبَراً ومَخْبَراً ، يبـادر إلى

---

(٣٦) أى ينظر بلحظ عينه ،وهو شـقها الذى يلى الصـدغ والأذن ، ولا يحدق إلى الشىء ، وهو دليل الحياء والكرم .

(٣٧) يريد : لا يلوى عنقه يمنة ويسرة ناظراً إلى الشىء ، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف ، ولكن يقبل جميعاً ويدبر جميعاً .

قضاء حاجة من يبتغى فضله ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله[٣٨]

من أين يوجـــد قـــبلهُ أو بعـــدهُ
مـــثلٌ له وهو الحـــبيـــبُ المصطفى

الله فـــــــــــــضَّلَهُ وحَسَّنَ خُلْقَه
مـــع خَلْقِهِ وبــــه الأذى عـــنَّا نَفَى

طوبى لمن بجمـــيل سيرتهِ اقـــتدى
وطريــق سُنَّتِهِ المعـــظمـــــة اقْتَفَى

صلَّى عليـــه مُنِيـــر بدر صِفـــاته
مـــا لاحَ فى الآفـــاق نجمٌ واخْتَفَى



(٣٨) انظر التـرمذى (٣٦٣٨) ، والشـمائل المحـمدية (٨٠٧) ، ودلائل النبـوة للبيـهقى (١/ ٢٧٠) .

فصـــــل

فى فصاحته وأدبه وحلمه ﷺ

كـان رسـول الله ﷺ يعـرف ألسنة العـرب ، ويعلـم لغـة من بَعُدَ منهم واقترب، ويخاطب كل طائفة منهم بلسانها ، ويجرى مع كل فرقة فى ميدان بيانها ، فصاحته إليها المنتهي ، وبلاغته حيَّرت ألبابَ أرباب النُّهى ، وجوامع كلمه مـأثورة ، وبدائع حكمه مشـهورة ، وعيون مـعانيه منسجـمة ، ودرر ألفاظه منتظمة ، وإيجاز مقاطعه يُطْرب الأسماع ، وحسن مَنَازعه لا شك فيه ولا نزاع ، وطلاوة قوله تجل من الصفة ، وحـلاوة منطقه لا يذوقها إلا أهل المعرفة ، أُنْزِلَ القرآن الكريم بلسانه ، تعظيمـاً لأمره ورفعة لشانه ، ما أعذبَ لفظه ، وأنفعَ وعـظه ، وأجـزلَ فوائـده ، وأجمـلَ فرائـده ، وأبلغَ خطابه وخطبه ، وأبدع رسائله وكتبه ، نشأ فى بنى سـعدٍ ورتبته فى قريش عالية ، فجمع من الكلام رونق الحـاضرة وجزالة البادية ، وأيد ببـراعة خَصَّهُ بها من حكم بتوفيـر قسمه ، ولَسَنٍ مددهُ الوحى الذى لا تدركه البـشر ولا يحيطون بشىء من علمه .

محـمدٌ أبلغَ العُرْب الذين مـضوا
نعم وأفـصح من بالضَّاد قـد نَطَقَا
جـــوامعَ الكلم المأثـورُ طيّبـهـــا
آتاه من أوجـد الإصبـاحَ والغَسَقَا

لله ألفــاظه اللائــى لنا نشــرت

جــواهرَ العلم من تبـيـانهـا نَسَقَا

من قــال إن رســـول الله ليس له

كُفْؤٌ من الناس فى الدارين قد صَدَقَا

وكان ذا آداب شريفــة ، ومعارف منيفــة ، ونظر ثاقب ، ورأى صائب ، وظن صادق ، وحدس موافق ، وسياسة شــاملة ، وحماية كاملة ، وفضائل مقصودة ، وأخلاق محمودة ، دينه الإيمان ، وخلقه القرآن ، يسخط لسخطه ويرضى لرضاه ، ويحذو حذوه ويهتدى بهداه ، بعث ليُتمم مكارمَ الأخلاق، ويَرْحَضَ(١) شقة الأرض من دنس النفاق ، مقرراً للشرائع ، حافظاً للودائع، مجتــهداً فى المصالح ، رائضاً للجــوامح ، ناظراً فى المهمات ، رافــعاً أثقال الملمات .

آداب خـيــر الرســل قــد قــارنت

أخـــلاقَه الحُسْنَى وتهـــذيبـــه

لا يحـصــر الخـــاطرُ أوصــافَهــا

ولو أثــار الفكر تــلهـــيـبـــه

وكـــيف لا والله ذو العـــرش إذ

أدَّبه فـــأحـــســنَ تأديبـــه

وكان النبى ﷺ غزير الحلم والاحتمال ، كـثير الفضل والإفضال ، يصل

---

(١) من قولهم : رَحَضَ الثوب أى غسله .

من قطعـه، ويعطى من منعه ، ويبـذل لمن حرمـه ، ويعفـو عمن ظلـمه ، ويُغْض طرفه على القذى ، ويحبس نفسه عند الأذى ، ولا ينتقم مع القدرة، ويصبـر على ما يشـق ويكره ، ولا يزيد مع أذى الجاهل وإسـرافه إلا صـبراً وحلماً ، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرَهما ما لم يكن إثماً ، ولم يؤاخذ الذين كسروا رَبَاعيَته[٢] وشَجُّوا[٣] مُحَيَّاه ، وقصدوا خفض المـرفوع من عرفه ورياه ، بل دعا لهم واعتذر عن جهلهم ، وعفا عنهم وكم عفا عن مثلهم ، وتجاوز عما بدا من المنافـقين فى حقه قولاً وفعلاً ، ولم يقـابل من شتمه ولا من أراده بسوء طَوْلاً وفضلاً ، وكم أعرض عن جـاهلٍ ومعاند ، وما ضرب بيده شيئـاً قط إلا أن يجاهد ، وصبر على مقاساة الجـاهلية ، وعلى ما لقى منهم من الشدة والبلية ، إلى أن سلَّطه الله عليهم ، وحكَّمه فيهم وأظفره بما لديهم .

كـان النبَّى الذى وافـت شـمـائلهُ
بالحلم مـؤتزراً والصـبرِ مُشْتَمـلا
يعفو ويـصفح فضلاً بعـد مقدرةٍ
ويحبس النفس عند الشَّر مُحْتَملا
ومـا يقـابلُ مـن يأتى بمظلمـةٍ
فى حقه معرضـاً عن قول من جهلا

(٢) الرَّبَاعية : السِّن بين الثنية والناب ، وهى أربع : ربَاعيـتان فى الفك الأعلى ، وربَاعيتان فى الفك الأسـفل ، وكان ذلـك يوم أحد حـيث جـرح وجه رسـول الله ﷺ وكسـرت ربَاعيَتُه وهُشِّمت البيضة على رأسه، فداه أبى وأمى ونفسى التى بين جنبى .
(٣) الشَّجُّ : فى الرأس أو الوجه أو الجبين ؛ والفَلُّ فى الأعضاء كلها .

وكم غدا آمـراً بالعرف مـجتـهداً

وكم أنـال وكم أعطى وكـم بذلا

تفـصيل تـفضـيلهِ لا ينتـهى أبداً

يا ذا الولاءِ فـخذ أوصـافَه جُمَلا

منِيِّ عليـــه ســـلامٌ نشـــره عطرٌ

ما سار بدرُ الدُّجَى فى الأفق مُنْتَقِلا



فصـــل
فى جُوْده وكرمه وشجاعته ﷺ

كان النبى ﷺ عـالى الهمم ، وافرَ الفضل والكرم ، طويلَ البـاع ، مديدَ الذراع ،سبط الأنامل ، كريم الشمائل ، جـميل العواطف، جليل المعارف، محباً للحياء ، مطبوعاً على السخاء ، سهل الإنفاق ، جَزْلَ الإرفاق ، مهتماً بصلة الأرزاق ، أين منه الغيثُ المغيث والبـحرُ الغَيداق[1] ، يحقق الوسائل، ولا يخيب أمل الآمل ، يبـذل الرغائب[2] ، ويعين علي النوائب ، يحـمل الكَلَّ ويُكْسِب المعدوم ، ويُجـرى سيل السَّيْب على السـائل والمحروم ، ويمد أطناب الرفد وأوراقه ، ويعطى عطاء من لا يخـشى الفاقة ، وينيل من أخلد إليـه ما لم يكن فى خَلَدِه ، ولا يدخـر شيـئاً من يومـه لغده ، أسـخى من الغمـائم المثقلة ، وأجـرى بالخير من الريح المرسلة ، ظـلال عطاياه مديدة ، وحلل مكارمـه لا تبـرح جديدة ، تمتـار السحـائب من يَمِّ أياديه ، وتهـرع الركائـب إلي نَدَى نَاديه ، ما سُئِل عن شىء فـقال لا[3] ، ولا أعـرض عن طالب عَرْض ولا قـلا ، أعطى رجلاً سـأله غنماً بين جـبلين[4] ، ولم يـزل

---

(١) البحرُ الغَديق : الكثير الماء .

(٢) الرغائب : العطاء الكثير ، جمع رغيبة .

(٣) انظـر الحديث فى البخـارى ومسلم (اللؤلـؤ والمرجان ١٤٩٣) ، وشرح السنة للبـغوى (٣٥٧٩ ، ٣٥٨٠) ولله در الفرزدق حيث يقول :

ما قال لا قطٌّ إلا فى تشهده　　　لولا التشهدُ كانت لاؤه نعمُ

(٤) عن أنس أن رجلاً أتى النبى ﷺ فـسأله ، فأعطاه غنمـاً بين جبلين ، فأتى الرجل قـومه فقال : أسلموا ، فـإن محمداً يعطى عطاء رجل ما يخاف الـفاقة [مسلم ٤ / ١٨٠٦ ، وشرح السنة للبغوى ٣٥٨٥] .

معروفه معروفاً عند الثقلين، وقسَّم فى مجلس واحد تسعين ألف درهم ، وكم أنجد بعطائه من أنجد ومن أتْهَم ، وأعطى مائة من الإبل غير واحد من العرب ، وجاد للعباس بما لم يطق حمله من الذهب[٥]، وردَّ سبايا هوازن وكانوا ستة آلاف، وخبرُ ما منح به صفوان[٦] وغيره عن علم الرواة غير خاف.

لقد كان المُقَفِّى[٧] سيلَ سيبٍ
وبحرَ تكرُّم وسحابَ وَبْل

طويلَ الباع مُنْشَرِحَ العطايا
وسبْطَ الكف ذا جودٍ وفَضْل

شريف المنتهى جَزْلِ الأيادى
حَليفَ تقىً وإحسانٍ وعدل

يجودُ على العُفَاة[*] بلا سؤال
وينجز وعده من غير مَطْلِ

له شيمٌ وأوصافٌ حسانٌ
يفوح عبيرها فى كل حفل

(٥) المراد العباس بن مِرداس ، ولذلك قصة ذكرها ابن حجر فى الإصابة (٣ / ٦٣٣) .

(٦) عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال : أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين ، وإنه لأبغض الخلق إلى ، فما زال يعطينى حتى إنه لأحب الخلق إلى . [مسلم ٥٩ / ٢٣١٣، والترمذى ٣٦٦ ، وشرح السنة للبغوى ٣٥٨٦] .

(٧) المُقَفِّى : هو بمعنى العَاقِب ، وهو المتَّبع للأنبياء .

(*) العُفَاة : جمع عَافى : كل طالب معروف .

يجــل من البــــرية عــن نظيــــر

وعن كــفــوٍ يقـــاس به ومـــثل

وكان ذا شـجاعــة ونجدة ، وبسالة وشـدَّة ، وبأس وشهامـة ، وحمـاسة وصرامة ، وصَولة وإقـدام ، وإرغام للضَّرْغَام[8] ، يشتت شمل الكُماة[9] ، ويهتك وجوه الحـماة ، ويُبْطِلُ حيلة الأبطال ، ويفرِّق جمع الأفـيال ، نفوذ النبال مـن شدة عزمـاته ، ومضـاء المُرْهَفات من صدق رأيه وخـفق راياته ، أذهب الشك بحق اليقين ، وأرهب العدى بسيـفه المتين ، وسفَّه أحلامهم ، ونكَّس أعـلامهم، وزيَّف أقـوالهم وأفعـالهم ، واستـباح أرضـهم وديارهم وأموالهم ، وأباد أهل العناد بعَضْبِه البتَّار[10] ، وأظهر دين المسلمين بصحبه الأشداء على الكفـار ، غزواته مـعدودة ، ومشـاهده مشهـودة ، وحروبه لا تنكر ، ومواقـفه أشهر من أن تذكـر ، حضر الوقائع الحامـى وطيسُها[11] ، وشهد الملاحم العَرَمْرَم خَمِيسُها[12] ، وتولَّى الكُمَاة عنه وهو مستقرٌ غير مرة، وفرَّ المسلمون من حوله يوم حنين فـرَّة مُرَّة ، وهو ثابتٌ لا يبرح ، ومقبلٌ لا يُدبر ولا يتزحزح ، قائلاً: «أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب»[13] ، ما قَرُبَ منه أحدٌ إذا التقى الجمعان ، إلا وعدَّه من أشد الكُمَاة والشجعان ، وما

---

(٨) الضَّرْغَامُ : الأسد الضارى الشديد .

(٩) الكُمَاة : الشجعان . (١٠) العَضْب : السيف القاطع .

(١١) الوَطِيس : حجـارةٌ مُدورة ، فإذا أُحميت لم تمكن أحـداً الوطأ عليها ، ويُضرب مـثلاً للأمر الشديد .

(١٢) الخميس : الجيش، وسمى الجيش خميساً لأنه ينقسم خمسة أقسام : ساقة ، ومقدمة ، وجناحين ، وقلباً .

(١٣) وكـان ذلك يوم حنين، وعـزاه فى السـيرة الشـامـيـة إلى ابن أبى شـيبـة وابن جـرير (٩/ ١٢١).

لقى كتيبةً إلا وكان أول ضارب ، ولا تواثب القوم لوقوع صوتٍ إلا وكان أسرعَ واثب، لم يُرَ أثبت جأشاً منه فى الجهاد ، ولا أقربَ إلى جهة المشركين منه وقت الجِلاد ، قال ابن عمر: «ما رأيت أشجعَ ولا أنجدَ ،ولا أسخى من رسول الله ولا أجود » وقال على: «كنا نتقى برسول الله إذا اشتدَّ البأس واحمرت الحدق[١٤]» ، وفى هذا الحديث الحسن ما فيه مما يخطبُ كاعب السرور ويجلب غائب النوق[١٥] .

بأس وشدة نجدة وحماسة

رُكِّبن فى من وجهه يجلو الغَسَقْ[١٦]

ذاك النبىّ المُصْطَفى الهادى الذى

سبق النَّبيين الكرامَ بما سبقْ

كم شتَّ شمل المشركين بسيفه

وأحلَّهم سجن الحفيظة والحنقْ

كم أَلَّبوا وتجمعوا للقائه

فتفرقوا لما رأوه من الفَرَقْ[١٧]

---

(١٤) عن على بن أبى طالب قال : كنا إذا أحمر البأس ، ولقى القوم القوم ، اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدو منه . [شرح السنة للبغوى ٣٥٩٢] .

(١٥) النوق : جمع ناقة وهى الأنثى من الإبل ، والمراد شواردها .

(١٦) الغَسَق : ظلمة الليل .

(١٧) الفَرَق : الخوف .

من قـال إن محمـداً أوفى الورى

يوم الوغَى عزمـاً وإقدامـاً صدقْ

صلَّى عليـه المـالك القـدوس مـا

هتف الحَمَامُ الوَرْقُ مـا بين الوَرَقْ



فصـــل

فى حيائه وأنسه ولطفه وشفقته ﷺ

كان رسول الله ﷺ أكـثر الناس حياء ، وأوفرهم عن العـورات إغضاء ، وأوسعـهم صدراً ، وأنورهم بدراً ، وأجـملهم وصـفاً ، وأجزلهم لـطفاً ، وأعطفهم نائلاً ، وألطـفهم شمائـل ، وألينهم عريكة[1] وأكرمـهم عِشْرَة ، وأحـسنهم أدباً وأبهجـهم نَضْرة ، وأظهـرهم بِشْراً وأنساً ، وأبسطهم خُلُقـاً وأطيبهم نفساً ، أشـدَّ حياء من العذراء فى خدرها[2] ، وألطف من نسمات الأسحار عند هبوبها وممرها ، ليس بفظٍ[3] ولا غليظٍ[4] ولا صخَّاب[5] ، ولا فحَّاش[6] ولا مدَّاح ولا عيَّاب ، يؤلف الناس ويحـسن إليهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، لا يطوى عن بَشَرٍ بِشْرَه ، ولا يشافهُ أحداً بما يكره ، ولا يثـبت بصـره فى وجـه أحدٍ من حـيـائه ، ولم يُرَ قط مـاداً رجليـه بين جلسائه ، ويتفقد أصـحابه ، ولا يغلق على الوفد أبوابه ، ولا يقطع عن أحد حديثه ، ولا يمنع عن الملهوف سُحُبَه المغيثـة ، ولا يعدل عمَّن جالسه لحاجة

---

(١) العَرِيكَة : الطبيعة والنفس .

(٢) الخِدْر : السِّتْر : لأن العذاء فى الخلوة يشتـد حياؤها أكثر مـا تكون خارجه منه ، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها . وانظر الحديث بنصه فى « اللؤلؤ والمرجان ١٤٩٩ » .

(٣) ليس بفظ : أى ليس بسىء الخلق .

(٤) الغليظ : الجافى .

(٥) ولا سَخَّاب : أى لا يرفع صوته بكثرة الصياح ، لحسن خلقه ، وكرم نفسه ، وشرف طبعه . وروى بالصاد وهو بمعناه .

(٦) ولا فحَّاش : أى ليس ذا فحش فى كلامه .

ولا ينحرف ، ولا ينصرف عنه حتى يكون هو المنصرف ، وما التقم أحدٌ أذنه فنحَّى رأسه حتى يتنحَّى المُلتقم[٧] ، ولا يحسبُ جليسه أن أحداً أكرم عليه منه لما يرى من إحسانه المُرْتَكَم[٨] .

له سيرٌ مأثورة سار ذكرها
وبشْر لمن يلقاه لاحت بشائره
وأنسٌ يرى الإنسان منه مسرَّة
وفيه رجاء طار فى الحي طائره
وبسطةُ نفسٍ للنزيل نفيسةٌ
وغيث يجيب الغوثَ عمَّت مَوَاطره
أيا من يروم الحصر من نعت أحمد
أَفِقْ فهو بحرٌ لا تُعَدُّ جواهره

وكان يقبل الهدية ويكافئ عليها ، ويثابر على المعونة ويسارع إليها ، ويجيب دعوة المسكين والمسكينة ، ويعود المرضى فى أقصى المدينة ، ويخفف الصلاة بسبب طالب الحاجة ، ويكثر إلى التغافل مَعَاده ومعَاجَه ، ويقابل عذر المعتذر بالقبول ، ويطلع لزائره نجومَ إكرامٍ ليس لها أفول ، ويؤثر من يدخل عليه بوسادته ، ولا يخرج فى مكارم الأخلاق عن عادته ، ويدعو أصحابه بكناهم وأحب أسمائهم ، ويميل إلى مخاطبتهم ومحادثتهم ومداعبة

---

(٧) أى ما حدَّثه أحد عند أذنه ؛ استعار وضع اللقمة فى الفم لوضع الفم عند الأذن . انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ١٢١).

(٨) المُرْتكم : المجتمع بعضه على بعض .

أبنائهم ، ولا يجـيب أحداً منهم ومن أهل بيتـه إلا بالتلبيـة ، ويعم كلاً من جلسائه من مودته بالتسوية ، ويُجرى على من أمّه وأمّله نيل النول ، ولا يرد ذا الحاجـة إلا بها أو بميسور من القـول ، قال أنس رضى الله عنه: «خدمـته عـشر سنين فـمـا قال لى لشىء صنعـتُه لم صنعـتـه، ولا لشىء تركتـه لم تركته»[٩] .

رسـولُ حـلمٍ ورحـمـةٍ ورضـاً
مُقَدَّس الخُبْـر طـيـبُ الخَبَرِ
أنسُ وحـيـدٍ وغـيثُ منتـجعٍ
كـهفُ طريدٍ وعـونُ مـفـتـقـرِ
يكـرمُ أصـحـابـه وزمـرته
ويلتـقـيـهم بأحـسن الصُّورِ
مـاذا يقـول البليغُ مـجـتـهـداً
فى حـقـه وهو سـيـدُ البـشـرِ

وكان ذا شفقة تامة ، ورأفة عامة ، ورحمة شاملة، وحنو سحائبهُ هاملة ، يحب الرفق ولا يعدل عن جهاته ، وإذا سمع بكاء الصبى تَجَوَّز فى صلاته ، ويأمـر بالحسنة ويدنى أهلـها ، ولا يجـزى بالسيـئة مـثلهـا ، ولكن يعفـو ويصفح، ويتجاوز عن المسىء ويسمح ، ويدفع بالتى هى أحسن، ويأتى من

---

(٩) ونص حديـث أنس رضى الله عنه قال : خـدمت النبى ﷺ عشـر سنين فمـا قال لى : أفٍّ، ولا : لم صنعت ؟ ولا : ألا صنعت ! [اللؤلؤ والمرجـان ١٤٩١]، وانظر شـرح السنة للبغوى [٣٥٥٨ ، ٣٥٥٩] .

المعروف بما أمكن ، ويصل الرحم ويقرى الضيف ، ويقطع أسباب الحَتْف[10] والحَيْف[11] ، ويحـرص على دخـول المسلمين إلى دار السـلامة ، قـال ابن مسعود: «كان يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة[12]» ، خفف عن أمته وسهَّل ، وتوقف فيـما يشق عليهم وتمهل ، وبالغ فى إسـداء الإحسان إليـهم ، وكره أشياء مخافة أن تفرض عليهم[13] ، وأَطْلَع لهم شفقاً من الشـفقة لا يغيب ، وخصهم من مناهل خيره وموارد ميره بأوفر نصيب .

يا أمـــة المخــتـــار بشـــراكمُ

بالفوز من قـرب الحبـيبِ النَّسيب

المحـسنِ الهـادى البـشـيـر الذى

خـفَّف عنكم كل أمـرٍ عـصـيب

وكـــثَّر الخـيـــر عليكـم ومن

بحـر القـرى جـاءكم بالعـجـيب

صلَّى عـليـــه الله مـــا غَرَّدت

حـمـامـةٌ من فـوق غُصْنٍ رطيب

---

(١٠) الحَتْفُ : الهلاك .

(١١) الحَيْف : الجور والظُّلم .

(١٢) يتخـولنا : أي يتعهدنا . وقـال ابن الصلاح : الصواب بالحاء المهـملة أى يطلب الحال التى ييسطون فيها للموعظة ، والأول اختاره أغلب المحدثين .

(١٣) كقـوله ﷺ : « لولا أن أشقِ على أمـتى لأمرتهم بالسِّواك عند كل وضـوء ، ومع كل صلاة ، ولأخرت العشاء إلى ثلث الليل » ، وكراهته دخول الكعبة لئلا يُعْنِت أمته .

فصــــل
في وفائه وتواضعه وعدله ووقاره ﷺ

كـان النبى ﷺ أجمل الـناس وُداً ، وأحسنهم وفـاء وعـهدا ، وأعـدلهم حكما ، وأسعدهم نجمـاً ، وأعلاهم منالاً ومناراً ، وأوفاهم سكينة ووقارا ، وأوفرهم للحقوق ذكرا ، وأكثرهم تواضـعاً وأقلهم كبرا ، وأظهرهم بشرا ، يركب الحـمار ويُردف خلفـه ، ويبدى للفـقـير والمسكين لطفـه ، ويأكل مع الخـادم ، ويبادر إلى خِدْمـة القـادم ، ويرقع ثوبه ويَخْصفُ نعله[1] ، ويَقُمُّ بيته[2] ، ويخدم أهله ، ويحلب الشاة ويعقل البعير ، ويجيب إذا دُعِيَ حتى إلى خبـز الشعيـر ، ويتوكأ على العـصا ، ويضطجع علي الرمل والحـصا ، ويحمل بضاعـته من السوق ، ويقوم بما يتعين عليـه من الحقوق ، ويرى أن حُسْن العهد من الإيمـان ، ويعامل من أكرمَ أصحابه بأتمِّ الإحـسان ، وينظر فى حال المديون والمفلس ، ويجلس حـيث انتهى به المجلس ، ويكره أن يُقَامَ له إذا أتى ، وينصف المظلوم ممن تعـدى عليه وعـتا ، وسكَّنَ من ريح الـعز والكبـرياء عجـاجتـهـا ، وينطلق مع الأَمَة حيث شـاءت حـتى يقضى لهـا حاجتها[3] ، حجَّ على رحلٍ رث الهيئة والصورة ، وأهدى مائة بدنة فى تلك

---

(١) يَخْصِفُ نعله : أى يَخْرِزُها ، من الخَصْفِ : الضم والجمع .

(٢) يَقُمُّ بيته : يكنسه . والقُمامة : الكُناسة .

(٣) عن أنس أن امـرأة عَرَضت لـرسـول الله ﷺ فى طريق من طرق المديـنة ، فـقـالت : يا رسول الله إن لى إليك حاجة . فقال : « يا أم فلان اجلسى فى أىّ سكك المدينة شئت أجلسُ إليك » قال : ففعلت ، فقعد إليهـا رسول الله ﷺ حتى قضت حاجتها . [مسلم ٤ / ١٨١٢ ، ١٨١٣ ، وأبو داود ٤٨١٩ ، والبغوى فى شرح السنة ٣٥٦٦] .

الحجة المبـرورة ، وأدار فى سماء السعـادة لنجوم أصحابـه فَلَكا ، واختار أن يكون نبياً عـبداً لا نبياً مَلِكاً[٤] ، على أنه سـيد البشـر بلا شكٍ ولا ريب ، وأكرم الخَلق على عالم الشهادة والغيب .

كـان الرَّسـولُ المُصْطَفى

أوفى الأنـامِ بعـهـدهِ

وأجـلَّهم قـدراً وأكـ

ـرمـهم بـخـالصِ وُدِّهِ

وأسـرَّهم بِشْراً وأنـ

ـجزهم لـصـادقِ وعْـدهِ

مُتَلطـفـاً مُتَعـطفـاً

متـواضـعـاً فى مـجـدهِ

يسـعى لخـدمـة ضـيـفه

ويرى السـمـاح برِفْدِهِ

والحـقَّ يَتْبَع دائمـاً

فـى حَلِّه أو عَـقْـدِهِ

(٤) انظر نص الحديث فى أخلاق النبى لأبى الشيخ (٢١٣) ، ومجمع الزوائد (٩ / ١٩)، وطبقات ابن سعد (١ / ٩٥) ، وشرح السنة للبغوى (٣٥٧٧ ، ٣٥٧٨) .

وكان أكثر الناس أمانة ، وأجزلهم عفة وصيانة ، وأنضرهم بهجة ، وأصدقهم لهجة ، وأجملهم سراً وإعلاناً، وأغزرهم عدلاً وإحساناً ، صادقاً فى الكلام ، صادعاً بالحق فى الأحكام ، أميناً فى السماء والأرض ، مكيناً عند من إليه النشور والعرض ، وعده مقرون بالإنجاز ، ولفظه مشتمل على الإيجاز ، لا يأخذ أحداً بقرف أحد ، ولا يُقْبِل على من مال إلى العناد وعند، يحكم عدلاً ، وينطق فضلاً ، ويشفع فرض الصلاة بنفلها ، ويؤدى الأمانات إلى أهلها ، تعرف الجاهلية فضله قبل الإسلام ، وكانوا يتحاكمون إليه فى النقض والإبرام ، يشهد وليه وعدوه بعلمه وعدله ، والفضل ما شهدت به الأعداء لأهله .

نعم يعرفون الفضل منه وكيف لا
وقد عاينوا منه الأمانة والعدلا
ويكفيه أن الله أنزل فضلهُ
وفى محكم القرآن أوصافه تُتْلى

وكان ذا مروءة وافرة ، وتُؤَدَة عن وجه السداد سافرة ، جزيل الصمت والوقار ، جميل المآثر والإيثار ، يرعى حق الصحبة القديمة ، ويجود بجَوْد نعمه العميمة ، ويتعطف على ذوى رحمه برحمته وصلاته ، ويتلطف بالصغار من أولاد أولاده حتى فى صلاته ، ويأمر باستعمال خصال الفطرة ، ويسكت على الحلم والحذر والتقدير والفكرة ، ويسكن إلى قلة الكلام ويميل، ويعرض عمن تكلم بغير جميل ، مجلسه مجلسُ هدىً وعلم ، ومحل خير وحياء وحلم ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تذكر فيه العورات ،

ولا تُؤَبَّن فى حَرَمه الحُرم[٥] ، ولا تُخْفَر فى أرجـائه الذمم ، إن تكلم أطرق جلساؤه ، وإن صمت زاد وقاره وبهاؤه ، لا يكاد يخرج فى مجلسه شيئاً من أطرافه ، ولا يعدل عن طريق عدله وأدبه وإنصافه .

يا حـبَّذا أوصـافُ عـدلٍ منصف

قـد حارت الأفكـارُ فى أوصافـهِ

ولاَّجُ أبواب المـروءةَ والحـيـا

فـرَّاجُ ضـيـق المُعْتَفى كَشَّافـهِ

ذى مـجلسٍ لا يحتـوى إلا على

قَرْمٍ[٦] يُسَرُّ بملتـقى أضـيـافـهِ

الـعلـمُ فى أقـطاره والحـلمُ فـى

أرجـائه والسلـمُ فى أكنافـهِ

صلَّى عليـه إلَـهُـه ومـحـبـه

مـا لاح بَرد الرَّوض فـى أفْوافـهِ



(٥) أى لا توصف فيه النساء ، ولا تذكرن بقبيح .

(٦) القَرْمُ: السيد المُعظَّم .

فصـــل
فى زهده وقناعته وعبادته ﷺ

كـان رسول الله ﷺ زاهداً فى الدنيـا ، نازلاً مِن تَرْكهـا بالمنزلة العليـا ، متنزهاً عنها ، متـقللاً منها ، معرضاً عن زهرتها ، غـير ناظر إلى نضرتها ، متحلياً بالطاعـة ، متلفعاً بمُرُوط[1] القناعة ، مزيناً بالعـفاف والكفاف أحوالَه وأمورَه ، مـقتصـراً من نفقتـه وملبسه على مـا تدعو إليـه الضرورة ، يلبس البُرْد[2] الغليظ والكساء والشَّملة[3] ، ويقسم حُلل الديبـاج على أصحابه حُلَّة بعد حُلَّة، عيشه ظَلِيف[4] ، ومأكله طفيف ، وملبـسه خَشيف[5] ، وفراشه من أدَم[6] حشوه ليف[7] ، يقل المنام، ولا يستكثر من الطعـام ، يبيت جائعاً طاوياً ، ويصبح صائماً خاوياً ، لا يسأل أهله طعاماً ، ولا يظهر لهم غَرْثاً[8] ولا أواما[9] ، إن أطعموه أكل ، وإن سقوه قنع بالنَّهل[10] .

---

(١) المُرُوط : جمع مِرْط : كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتزر به وتتلفع به المرأة .
(٢) البُرْد : جمع بُرْدَة وهى الشملة المخططة .
(٣) الشَّمْلَة : كساء من صوف أو شعر يُتَغَطى به ويُتلفف به .
(٤) الظَّليف : الأمر الشديد الصُلب .
(٥) الخَشيف : الخَشِن .
(٦) الأَدَم : الجلد المدبوغ .
(٧) اللِّيف : ورق النخل .
(٨) الغَرْث : الجوع .
(٩) الأوام : حرارة العطش .
(١٠) النَّهل : قال ما سقى إلا نهلة : أى مرة واحدة .

زهدٌ عظيمٌ واقتصارٌ زائدٌ

في مأكلٍ ومشربٍ وملبس

وعفةٌ يتبعها صبرٌ على

صوم النهار وقيامِ الحِنْدس[11]

وفرط إعراضٍ عن الدنيا وما

تلهى به من وشيها المدلس

يا سيد الرُّسل ويا أعلى الورىٰ

منزلة تفديك كل الأنفس

ما أكل قط على خُوان[12] ، ولا خُبِزَ له المُرَقَّق[13] حيناً من الأحيان ، ولا شبع من خبز شعير يومين متواليين ، ولا من خبز بُرٍ ثلاثة أيام تباعاً حتى أدركه الحَيْن[14] ، ولا رأى أبداً لحم شاة سميط[15] ، ولقد نام أحياناً على سرير مَرْمُولٍ بشريط[16] ، وما خلَّف ديناراً ولا درهما ولا نفقة ، ولم يترك إلا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة ، هذا وقد أوتى خزائن الأرض

---

(١١) الحِنْدَس : الليل .

(١٢) الخُوان : ما يؤكل عليه « معرّب » وفيه ثلاث لغات : كسر الخاء وهى أكثر ، وضمها، وإخْوَان .

(١٣) المُرَقَّق : أى لأن عامة خبزهم كان من الشعير ، وإنما يتخذ الرُّقاق من دقيق البُرّ .

(١٤) الحَيْن : الموت .

(١٥) شاة سميط : من سمطت الجدى : إذا نظفته عن الشعر بالماء الحار لتشويه فهو سميط ومسموط .

(١٦) مَرْمُول : أى منسوج بهذا الشريط وليس عليه وطاء . والشريط : حبل يفتل من صوف.

ومفاتيح الكنوز ، وأُبْرِزَ له من الإبريز كل محجوب ومحجوز ، وأظلته غمائم الغنائم ، وجاءته هدايا أهل التيجان والعمائم ، وحملت إليه الجزى والصدقات ، وانثالت[17] عليه الأموال والنفقات ، وسيقت إليه الدنيا بحذافيرها، وترادفت عليه الفتوحات بجماهيرها ، فقابل الإيراد من ذلك بالإصدار ، وما استأثر منه بدرهم ولا دينار ، بل أنفقه فى الخير ، وأغنى به فاقة الغير ، وفرَّقه فى مصالح المسلمين ، وكفَّ به أكُفَّ المشركين ، وبذله لطالب رِفْدِه وقاصد نَوَاله ، حتى إنه توفى ودرعه مرهونة فى نفقة عياله .

نبىٌّ وافت الدنيا إليه
وجاءته مفاتيحُ الكنوز
ومالت نحوه فأبى عليها
وقابلها بإفراطِ النشوز
تجنَّبها وأعرض عن جنَاها
ولاذ بجانب المَلِك العزيز
رعاه الله مختاراً هدانا
إلى المنهاج باللفظ الوجيز

وكان شديد الخوف والعبادة ، وافر الطاعة والمحبة والإفادة ، طاعته نظير حبه ، وخوفه على قدر علمه بربه ، عمله ديمة ، وطريقته مستقيمة ، يصلى طويلاً ، ويقوم الليل إلا قليلاً ، ينام على شقه الأيمن بغير مهاد ، ليستظهر على قلة النوم والرقاد ، يراقب من يُحاسب على الدرة والذرة ، ويستغفر الله

(١٧) انثالت : انصبت .

تعالى فى اليوم مائة مرة[١٨] ، قام حتى انتفخت قدماه ، وهجر الطعام فى الهواجر طاعة لمولاه ، المحبة أساسه ، والصبر لباسه ، والزهد حرفته ، والصدق سجيته ، واليقين قوته ، والرضا مطيته ، والمعرفة رأس ماله ، والطاعة منتهى آماله ، والشوق مركبه والفكر أنيسه ، والثقة كنزه والحزن جليسه ، والفقر فخره والعقل مصباحه ، والجهاد خُلقه والعلم سلاحه ، وقُرَّة عينه فى الصلاة ، وثمرة فؤاده ذكرُ من لا إله سواه .

الخوف مألفُه والصبر مطرفُه
والعلم مُرْهَفه والشوق مركبُهُ
عبادة الخالق الجبَّار همتُّه
وطاعة الواحد القهار مطلبهُ
وديمةُ العمل المبرور شِرعته
ومذهبُ الحق والإيمان مذهبهُ
أزكى التحيات منِّى لا تفارقه
ما طاب من سلسل الأمطار مشربهُ

(١٨) استشكل وقوع الاستغفار منه ﷺ ، وهو معصوم ، والاستغفار يستدعى وقوع معصية، وأجيب بأجوبة منها : أنه رأى الاشتغال بالأمور المباحة من أكل أو شرب أو جماع أو نوم أو راحة وغير ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكر الله تعالى والتضرع إليه ومشاهدته ومراقبته ، ذنباً بالنسبة إلى المقام العلى ومنها : أن استغفاره تشريع لأمته ، أو من ذنوب أمته .

فصـــل

فى الإسراء به وعروجه إلى السموات ﷺ

﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾[1] ، وسحب له على سـحب المعالى ذيلا، ونقله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأتحفه من نعمه الظاهرة والباطنة بما لا يُحـصر ولا يُحصى ، أُتِىَ ﷺ بالبُرَاق[2] ، فركبه ليخترق به السـبع الطبـاق ، وهو دابة أبيض طويل ، يضع حـافـره عند منتـهى طرفـه الكحيل ، فلما وصل بيت المقدس صلَّى فى مسجده امتثالاً للأمر ، وأصاب الفطرة باختياره اللبن دون الخمر ، ثم عرج مع جبريل إلى السموات ؛ ومنح فى العـالم العلوى بأعلى الـدرجات ، ورأى آدم فى السـمـاء الدنيـا ، وفى السماء الثـانية عيسى ويحـيى ، وفى السماء الثالثـة يوسف الصديق ، وفى الرابعة إدريس الحقيـق بأسرار التحقيق ، ولقى هارون فى السمـاء الخامسة ، وأخاه مـوسى فى السمـاء السادسـة ، وفى السابعـة إبراهيم المشهـود فضله المشهور ، وإذا هو مسند ظهـره إلى البيت المعمور[3] ، يا له بيتـاً يدخله كل يوم سـبعـون ألف ملك، لا يعودون إلـيه إلا بمشيئـة من أدار الفلك[4] ،

---

(١) سورة الإسراء : ١ .

(٢) البُرَاق : سمى بذلك لسرعته من البرق أو لبريقه .

(٣) على من قال أن البيت المعمور فى السماء السابعة ، وقيل : فى السماء الأولى ، وقيل : فى الرابعة ، وقيل : فى السادسة .

(٤) عـزاه السيـوطى فى « الدر » (٦ / ١٤٥) إلى ابن جـرير ، وأبى يعلى (٣٤٨٦) ، وأخرجه الحاكم وصححه ، والبـيهقى فى الشعب (٣٩٩٣) ، وعـزاه الشامى فى سيرته إلى ابن مردوية ، والعقيلى ، وابن أبى حاتم (٣ / ١٨٩) .

واستأنس بالأبوين[٥] والأخوة وابنى الخالة[٦] ، وكل منهم أشار إلى صلاحه ورحَّب به ودعا له ، وعند كل سماء يستفتح جبريل فيفتح له الباب ، ويُسأل عن بعثة من معه فيرد على سائله الجواب .

ركب البُراقُ محمدٌ ليلاً ولم
يركبه أفضلُ منه عند الخالقِ
ورقى ليحظى بالنعيم من اللقا
والقرب مخترقاً لسبع طرائقِ
ورأى النَّبيين الكرامَ ورحَّبوا
بقدومه ترحيب خلٍ صادقِ
وسما إلى رتبٍ هناك يحار فى
أوصافها فكرُ البليغ الحاذقِ

ثم ذهب به جبريل إلى سدرة المنتهى ، ذات الأغصان الوريقة والثمر المشتهى ، وهى شجرة تخرج أنهار الجنة من أصلها ، ويسير الراكب سبعين عاماً فى ظلها ، وإليها ينتهى ما مِنَ الأرض يَعْرُج ، وما يهبط من فوقها عندها يقف ومنها يخرج[٧] ، فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت ، فما أحد يستطيع نعت حسنها الذى لو أدركته الأبصار لتحيرت ، فأوحى الله

---

(٥) آدم وإبراهيم عليهما السلام .

(٦) ابنا الخالة : عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام .

(٧) فإن قيل : لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الأشجار ؟ أجيب بأن شجر السدر يختص بالظل المديد والطعم اللذيذ والرائحة الطيبة .

تعالى ما أوحى إليه ، وفرض ما فرض من الصلاة عليه ، ثم تصدق برحمته وخفَّف ، وزاد الأجر مع التخفـيف وضعَّف ، بعد أن كلمه فى ذلك موسى شكر الله علو هِمَّته ، وأشار عليه بسؤال الله تعـالى فى التخفيف عن أمته ، ورفعه حتى بلغ مستوي يسمع فيه صريف الأقلام[٨] ، وملأ فى الملإ الأعلى أذنيه من ترجيع الكلام .

وأنزله فى روضـة القرب والرِّضـا

وأكـرمـه بالمنزل الأفـضل الأسنى

دنا فـتـدلى وهـو خـيـر مُقَرَّبٍ

فكان اقترابـاً قاب قوسين أو أدنى

وعظَّمه بإمامة أهل السماء ، وقدَّمـه للصلاة بالملائكة والأنبياء ، وأحضره لمشاهدة حضرته ، وكشف له حجب غيـبه وقدرته ، وأعانه على معاينة النور الأعظم ، وأعلم المقربين إليه بأنه أفضل خلقـه وأعظم ، وأسمعه الأذان من لفظ مَلَك الحجاب[٩] ، واستخرج لرؤيته من بحر قدرته ما يقضى له بالعجب العـجاب ، وأكـرم له المثوى ، وأدخلـه جنة المأوى ، وأوضح له الطرائق ، وأظهـره على الحقـائق ، وأودعه الأسـرار المكنونة ، وأطلعه على الغـرائب المخـزونة، وأشهـده عجـائب سلطانه وملكوته ، وأفـرده بالنظر إلى عظمـة كبريائه وجبروته ، وشمله بعنايتـه الوافرة وألطافه الخفية ، وأدناه دنواً تنقطع

(٨) يريد - والله أعلم - ما يكتبه الملائكة من أقضية والله عز وجل ، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ .

(٩) ورد فى ذلك عدة أحاديث حول صحتها كلام (انظر السيرة الشامية ٣/ ٥٢١) .

عنه الكيفية ، ومهد له بساط التلطف والتأنيس ، وأعلاه على المقربين من أهل التسبيح والتقديس ، وأراه من آياته الكبرى ، وذكره فيمن عنده إن فى ذلك لذكرى .

نبىٌّ قد سرى ليلاً
فسبحان الذى أسرى

نبىٌّ قد أراه الله
من آياته الكبرى

نبىٌّ خُصَّ بالعليا
ورتبته بها أحرى

نبىٌّ جاء بالإيما
ن والإحسان والبشرى

نبىٌّ شامخ المقدا
ر فى الدنيا وفى الأخرى

سلامُ الله موصولٌ
به ما دامت الشِّعرى



فصـــل
فى تعظيمه وتكريمه يوم القيامة ﷺ

النبى ﷺ أول الناس خروجاً إذا نشروا ، وقائدهم إذا حشروا ، ومبشرهم إذا يئسـوا ، وشفيـعهم إذا حُبِسوا ، وخطيـبهم إذا أنصتـوا ، ومنجدهم إذا ذهلوا فى ذلك اليوم وبهتوا ، لواء الحمد بيده المعيرة للغيث وأنوائه ، وما من نبى - آدم فـمن سـواه - إلا تحت لوائه ، وهو أول مـن تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنة بمن معه يوم العرض ، وأفـضل السابقين ، وأكرم عباد الله الصادقين ، وخير أصحاب اليمين ، وأجلّ من نزل عليه الروح الأمين ، وهو صاحب الحوض الشهير بالكوثر ، الذى ريحه أطيب من المسك الأذفر ، وحافتاه قباب اللؤلوء المتسق ، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الوَرِق[1] ، طوله ما بين أَيْلَة[2] إلى عمان ، يشخب[3] فيه من الجنة مـيزابان ، أحدهما من اللُّجين[4] ، والآخر من خـالص العين ، كيـزانه كنجوم السـماء بهـجةً وعدداً ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً[5] .

حـــوضٌ بعيـــد المدى أرواح مـــورده
تفـــــوح بالـطيـب يا طوبـى لمن وَرَدَهْ

---

(١) الوَرِق : الفضة .

(٢) أيلة : مدينة كانت عامرة بطرف بحر القلزم من طرف الشام ، وهى الآن خراب .

(٣) يشخب : أى يسيل .   (٤) اللُّجَيْن : الفضة .

(٥) أحاديث حوض نبينا ﷺ متواترة عن بضع وخمـسين صحابياً سردها الحافظ السيوطى فى « البدور السافرة » .

يأتيه ماء من الفردوس مطردٌ

أحلى من الشهد يحيى نفس من شَهِدَهْ

كيزانه كالنجوم الزُّهْرِ طالعةً

أوصافه بمزايا الحسن منفردهْ

من أمَّه داخلاً فى ظل صاحبه

قد هيأ الله فى الأخرى له رَشَدَهْ

وهو أول شافع وأول مشفَّع ، وأول من يقول فينصَتُ لقوله ويُسْمَع ، وهو أعظم الأنبياء أجرا ، وأرفعهم ذكرا ، وأبهرهم آية ، وأبعدهم غاية ، وأبدعهم تبياناً ، وأقطعهم برهاناً ، وأجلهم مقداراً ، وأعزهم أنصاراً ، وأجزلهم حمداً وشكراً ، وأوفاهم توكلاً وصبراً ، وأعلمهم بالله وصفاته وأسمائه ، وأكملهم قلباً بعظمته وجلاله وكبريائه ، وأعرفهم بشريعته وأحكامه ، وأفهمهم لمعانى وحيه وكلامه ، وأغزرهم إحاطة بالمدارك العقلية، وأقربهم مجلساً من الحضرة القدسية الإلهية ، وأظهرهم سمة وعلامة ، وأكثرهم تبعاً يومِ القيامة ، يوم يؤتى الوسيلة المحفوفة بأصناف المِنَّة ، قال أبو هريرة: هى أعلى درجة فى الجنة ، يوم يعطى ألف قصر من اللؤلؤ ترابها المسك السحيق ، وفيها من الأزواج والخدم ما يصلح لمثله وبه يليق .

يوم يقوم الناس أفواجاً إلى

باريهم ذى العز والتنزيه

يوم المآب والحســـاب واللقـــا

يوم يـفـــر المرء من أخـــيـــه

يومٌ يصــير الناس فــيه حــيارى ، ويُرَونَ سكارى ومــا هم بسكارى ، يوم يلجأون إليه فى أمـر الشفاعة ، حيث يرون تأخر غيـره عنها وانقطاعه ، يوم يقـوم عن يمين عـرش الرحمن ، ويكســى حُلَّة خضــراء مُعْلمــة ببلوغ المنى والأمان ، ويؤذن له فـيقول مـا شاء الله أن يقول ، ويـفتح عليه من الحـمد والثناء ما وردت به النقول ، يا له مـوقفاً تقصر عن الوصــول إليه المقربون ، ومقاماً محموداً يغبطه فيه الأولون والآخرون ، يشفع لأكثر مما فى الأرض من شجر ، ولأزيد مما حملت علي ظهرها من حجر ، ويشفع فى تعجيل من لا حساب عليه إلى دار القرار ، وفـيمن وجب عليه العذاب وأدخل إلى النار ، وفـيمن تلفظ بالـشهـادة المعظمـة ، وهذه المنزلة الجليلة لا تحـمل لغيـر ذاته المكرمة، وكم حوى فضيلة ليس له فـيها من الخلق مشارك ، على أنه ﷺ لم يفتـخر بشىء من ذلك ، شكر الله جـميل سعـيه وأثيل همتـه ، وجزاه الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته .

رســولٌ له يــوم القـيــامـــة منزلٌ

عليّ الذرى أعــلامـه الزَّهْر تلمعُ

ومــوقف قــربٍ لا يدانيـه غـيــره

يقــول فيـه الذى يقــول فـيســمعُ

ويســأل والبــارى يجـيب ســؤاله

ويشــفــع فــيـمن جــاءه فـيُشَفَّعُ

نبيٌ أبـيٌّ كـــان ينــهى عن الأذى

ويأمـر بالحـسنـى وبالحق يصــدعُ

عليـــه سـلام الله مـــا لاح بارق

وما انهلَّ من جفــن السحائب مَدْمعُ



فصـــــل
فى أسمائه وكناه وألقابه ﷺ

أسماء النبى ﷺ وألقابه كثيرة[١] ، وأوصافه حَوَت درر المحاسن ولم تغادر منها صغيرة ولا كبيرة ، فمن أسمائه محمدٌ[٢] وأحمد ، وهما اسمان مخصوصان بالطالع الأسعد ، منع الله تعالى أن يُسمى بهما قبل زمانه أحدٌ من الناس[٣] ؛ لئلا يدخل على القلوب الضعيفة شك والتباس ، وهو أحمد الحامدين والمحمودين وأكثر الناس حمدا ، وهو حامل لواء الحمد يوم يحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ، ومنها الماحى والحاشر ، والمقدَّس[٤] والطاهر ، فالماحى الذى يمحى الكفر بكلمه ، والحاشر الذى يحشر الناس على قدمه[٥]، والنجم الثاقب[٦]، والمصلح والعاقب، وهو الذى لا نبى بعده، ولا يعقب

---

(١) أفردها بالتصنيف خلائق ، ونظمها جماعة منهم الإمام القرطبى المفسِّر والعلاقة الزينى عبد الباسط بن الإمام البُلقينى ، ورتبها على حروف المعجم الحافظ السيوطى فى «الرياض الأنيقة » وهو مطبوع ، وكذلك الحافظ الشامى فى « السيرة » .

(٢) وهو أشهر أسمائه ﷺ وأجلُّها ، ولذلك اختص بأمور منها : أنه لا يصح إسلام الكافر حتى يتلفظ به ، ومنها يتعين الإتيان به فى التشهد ولا يكفى غيره من أسمائه ، ومنها أن آدم يكنى به فى الجنة دون سائر بنيه .

(٣) الذين سُمُّوا فى الجاهلية باسم محمد دون العشرين وهم (المحمدون) ، وحمى الله تعالى هؤلاء أن يدَّعى أحد منهم النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه شىء من سِماتها ، حتى تحققت لنبينا ﷺ .

(٤) المُقَدَّس : المطهر من الذنوب المبرأ من العيوب .

(٥) معناه أنه يقدمهم وهم خلفه ؛ لأنه أول من تنشق عنه الأرض ، ثم تحيى كل نفس فيتبعونه .

(٦) الثاقب : المضىء .

جــزرُ ذى رسالة مَدَّه ، والشـاهد والمبـشر والـنذير ، والداعى إلى الله بإذنه والسراج المنير ، والمُقَفِّى[٧] والقُثَم[٨] والقَثُوم[٩] ، وهذا الاسم الأخـير فى آل بيته معلوم[١٠] .

يا سـيِّداً أسـماؤه قـد سَمَتْ

وفى مـعـانيـه تحـار الحُلُومْ

ومن حـوت أزهار ألقـابه

نَشْرَ شَذى تُطْوى عليـه الرقـومْ

ومـن له فـضـلٌ أياديـه لا

تحصى، وهل تحصى درارى النجوم؟!

أنت الـذى أنوار أعـلامـه

تهـدى إلى الحكمـة أهلَ العلومْ

ومن أسـمائه المدثر والمزمل ، والمخـتـار والمتوكل ، والرؤوف الرحـيم ، والصـراط المسـتقيم ، والحق المـبين ، والصادق الأمين ، فـالحق هو المُحقق صدقه وأمره ، والمبين الذى بين مـا بعثه به من جلّ ذكره ، وطه ويّس[١١] ، ورحمـة للعالمين ، وسيد المرسلين ، وخـاتم النبيين ، وإمام المتـقين ، وقائد

---

(٧) المُقَفِّى : الذى ليس بعده نبى . وقـيل : المتبع آثار من قبله من الأنبـياء . وقال شِمْرٌ : المقفى والعاقب واحد .

(٨) القُثَم : هو الإعطاء ، سمى بذلك ﷺ لجوده وعطائه .

(٩) القَثُوم : الجامع لخصال الخير والفضائل كلها .

(١٠) يشير المؤلف إلى كونه اسماً لعم النبى ﷺ .

(١١) ورد ذلك عند ابن مردوية بسند ضعيف عن أبى الطفيل رضى الله عنه .

الغُرِّ المحجلين ، ونعمة الله على الخلائق ، وعبد الله المعبَّد للطرائق ، ونبى الرحمة والمرحمة ، ورسول التوبة والملحمة ، وهى إشارة إلى ما بعث به من القتال ، وما أمر به من ردع المشركين بجد النِّضال وحدِّ النِّصال ، وخليل الرحمن ، وحبيب الملك الديان ، ومقيم السنة وروح الحق ، والشفيع المشفع فى الخلق ، وصاحب الوسيلة، والدرجة الرفيعة والفضيلة ، والحوض المورود، والمقام المحمود ، والبراق والمعراج ، والهراوة[١٢] والتاج ، وما المراد به تاج ملك مُوِّه بالذهب ، بل العمامة لأن العمائم تيجان العرب .

بك يا رسول الله يا علم الهدى
تشرف الألقابُ والأسماءُ
وبيُمن طالعك السعيد قدومه
ذَهَبَ الظلامُ وآبت الأضواءُ
وبنصر نَصْلِكَ سُرَّ كل موحدٍ
وبعزِّ عزمك ذلت الأعداءُ
سقياً لأمتك التى طابت لهم
بنبيهم بين الورى الأنباءُ

وهو ﷺ ذو الحجة والسلطان ، والعلامة والبرهان ، ورب اللواء والقَضيب[١٣] ، وراكب الناقة والنَّجيب ، وسيد ولد آدم ، والمهيمن والفاتح

---

(١٢) الهِرَاوة : العصا ؛ لأنه كان يمشى والعصا بين يديه ، وتُغْرز له فيصلى إليها .

(١٣) القَضيب : أى السيف الرقيق ، وهى صفته فى الإنجيل .

والخاتم ، والمصطفى والمجتبى والكريم ، وأبو القاسم وأبو إبراهيم ، والنبى الأمى والهادى والنور ، والعروة الوثقى التى من تمسك بها نال الغبطة والسرور ، والبارقليط وهو الذى يفرق بين الحق والباطل(١٤) ، وحمطايا(١٥) ومعناه حامى الحرم بالمُرْهفات(١٦) والذَّوابل(١٧) ، ولعمرى إنها أسماء على مسمى جليل ، وألقاب علت بذى فضلٍ أثير(١٨) وقدرٍ أثيل(١٩) ، فمنها ما ورد فى حديثه الصحيح ، ومنها ما ذكر فى القرآن الكريم باللفظ والتصريح ، ومنها ما جاء فى التوراة والإنجيل ، ومنها ما عرف من الكتب البعيد عهدها من التنزيل ، ومنها ما سماه الله تعالى به من أسمائه الحسنى ، وفى ذلك ما فيه من التعظيم الأسمى والتشريف الأسنى .

أسماؤه وصفاته معلومة
عند الرواة وعُرْفُه معروفُ
وخِلالُه مأثورة وخِصالُهُ
مسطورة وجلاله موصوفُ

---

(١٤) وقيل معناه : الحامد ، وقيل : الحمَّاد ، وقيل : المُخلِّص .

(١٥) وضبطه الهروى فى الغريب : حِمْياطا .

(١٦) المُرْهفات : المُرْهف : السيف الذى رقَّت حواشيه .

(١٧) الذَّوابل : جمع ذابل وهو الرمح الدقيق .

(١٨) الأثير : المُفضَّل على غيره .

(١٩) الأثيل : المؤصل .

أكــرم بـه ســمــحـــاً عطافُ نواله

أبداً عــلى قُـصَّــاده مـــعـطوفُ

براًّ أمـــينـاً صـــادقـــاً صَدَقَـاتُـه

المنُّ عنـهـا والأذى مـــصـــروفُ

مِنِّى عليـــه تحـــيـــةٌ مـــسكيـــةٌ

بفناء طيــبةَ[20] طيــبُـهـا مَعْكُوفُ



(٢٠) طيبة : من أسماء المدينة المنورة بنور ساكنها ﷺ .

فصـــــل
فى معجزة القرآن الكريم

اعلم أن النبى ﷺ له معجـزاتٌ أدلتها قاطعة ، وكـرامات لأنواع الغرائب جامعة ، وكلمات صادعة صادقة ، وآيات للعادات خارقة ، رآها فى محافل المسلمين الجم الغفيـر ، ورواها الثقات عن العدد الكثـير ، لا تزداد مع تقادم العهـد إلا ظهوراً ، ولا يزيد سراجـها مع اجتـهاد الملحـدين على إطفائه إلا نوراً، فمن معجزاته ما جاء به من القرآن المجيد، المنزل عليه بالحق من حكيم حميـد ، الذى عقل بحسن تأليفـه العقول ، وأناف[1] بالتئـام كلمه على كل مقول، وأخرس بإيجازه فصـاحة العرب ، ورمى بلغاءهم من إعجازه بحِرَاب الحِرَب ، وخرق عادتهم بأسنة بلاغته ، وأوقعهم فى الحـفر بسعة فصاحته ، على أنهم كانوا فرسان الكلام ، وزعماء النثار والنظام ، لا يَشُكُّون أن البيان طوع مُرَادهم ، وأن الحكمة جاريةٌ فى ملك سعدهم وسُعَادهم .

كـانوا ذوى فـصـاحـةٍ ومـقـولٍ
مـسـتـملح الأوصـاف والنعـوت
لكـن أتاهم بـالصــــواب نـاطقٌ
ألقـــــاهـمُ فى عـلَّة السـكوت

---

(١) أناف : علا وشَرُف .

يا له كتاباً أحكمت آياته ، وفُصِّلت كلماته ، وبهرت مطالعه ، وزهرت مقاطعه ، وقهرت جوامعه ، وظهرت بدائعه ، وأنارت زجاجة براعته ، وأضاءت ديباجة عبارته ، ورست قواعد إيجازه وإعجازه ، ورقت وطائد حقيقته ومجازه ، واعتدل حسن نظمه ، وزها فريد حُكْمِه وحِكَمِه ، واتَّسقت عقود فرائده ، واطَّردت أنهار فوائده ، وحَسُنَ ترصيعه وترضيفه ، وخُصَّ بالبيان والبديع تأليفه ، وجمع بين فصاحة الألفاظ وقوة الجزالة ، وأقام من بلاغته على وجوه العجز عنه أوضح الدلالة ، وأدهش النواظر بطلاوته ، وحرَّك الألسن بوصف حلاوته ، وحيَّر الأفكار فنه العجيب ، وسلب الألباب أسلوبهُ الغريب .

وأنار مشكاة الوجود وقد غشى
ديجورها[٢] بالضوء من آياتهِ
وأراح أرواح السعاة لروضه
بلذيذ عَرْف الزهر من زهراتهِ
وأمد طالبه وقاصد بحره
باللؤلوء المكنون من كلماتهِ
وأثاب حامله وسامعه ومن
يتلوه ما يجنيه من جنَّاتهُ

واشتمل على العلوم والمعارف ، وذكر الشرائع القديمة وأخبار القرون السوالف[٣] ، وأنباء الأمم الخالية ، وسرد القصص الماضية ، وشرح أحوال

---

(٢) الدَّيجور : الظُّلمة .
(٣) السوالف : جمع سالفة ، وهى الماضية .

الدار الآخـرة ، ونشـر مـا انـطوت عليـه الكتب الغـابـرة ، من بدء الخلق وإعادتهم، وأسباب شقاوتهم وسعادتهم ، والتنبيه على طرق الحجج العقلية، والرد على الفرق بـالبراهين البينة والأدلة القطـعية ، وكَشَفَ أسـرار المنافقين وأهل الكتاب ، ووبَّخهم على الكذب والعدول عن الصواب ، إلى غير ذلك من النواهى والأوامر ، والموانع والزواجـر ، والسير والأمثـال ، والتحريض على القـتـال ، والمواعظ والحـكم ، ومـحـاسن الآداب والشِّيَم ، والوعـد والوعيد، والـتنزيه والتوحيد ، والتـقرير والترتيب ، والترغـيب والترهيب ، والروعة التى تعترى القلوب عند سماع قـراءته ، والهيبة التى تطرق الأسماع لدى تلاوته .

كـتــابٌ يخص المؤمنين بـوعـدهِ
ويحـيى قلوب الـعـارفين بوعظهِ
ويهـدى سنا هدى لتـالى حروفـهِ
ورامـقهـا بين الرُّقُوق[4] بلحـظهِ
لقد حارت الأفكار فـى حسن نظمه
وسـر مـعـانيـه وجـوهـر لفظهِ
فـسُقـيـا لمن يقـفـو مناهج حـقـه
ورعـياً لعـبد عُدَّ من أهل حـفظهِ

وكم حوى مـجموعه وحاز ، نوعـاً من أنواع الإعجاز ، قصـرت العرب عنها ، وعجـزت عن الإتيان بواحد منها ، إذ كانت خـارجة عن قدرتهم ،

(٤) الرُّقوق : الأرض اللينة المتسعة .

مباينة لكلامهم وفصاحة ألسنتهم ، وما منهم إلا من بذل جهده ، واستنفذ جميع ما عنده ، وقصد إطفاء نوره ، واجتهد فى إخفاء ظهوره ، فما جلوا خبيئه من بنات شفاههم ، ولا برزوا بقطرة من معين مياههم ، مع طول المدة وكثرة العدد ، وتظافر الوالد وما ولد ، بل أبلسوا فما نبسوا[٥] ، وجلسوا صاغرين لَمَّا أيسوا ، ثم أنه لا يُعَدُّ من سعى من المعطلة فى تعطيله ، ولا يحصر من ثابر من الملاحدة على تغيير محكمه وتبديله ، وأجمعوا كيدهم وقولهم ، واستفرغوا قوتهم وحولهم ، فما قدروا على تحويل كلمة من تأليفه ، ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه ؛ لأن الله تكفل بحفظه، ومنع من التعرض إلى شئ من لفظه ، وبالجملة فلم يوجد قبله ولا بعده له نظير ، ولا استطاع أحد مماثلة فصل منه طويل ولا قصير ، بل حارت فيه العقول وتاهت الأحلام ، وجفَّت الصحف عن معارضته ورفعت الأقلام ، وهو من باب الخوارق الممتنعة عن البدو والحضر ، ولا يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ولا غير البشر ، يعرف ذلك من تفنن فى علوم هذا الشان، وأرهف خاطره الخاطر أدب صناعة اللسان .

تبّاً لآراء ذى عناد
لا يهتدى خاسر التجاره
يريد إطفاء نور ذكر
الله رب العلا أناره

---

(٥) ما نَبسوا : أى ما تكلموا .

و خـــاب من رام أن يـغـــشى

حـــــــلاوة الحـق بـالمـراره

يـا ويلـه من لـهـــــيب نـار

وقــودهـا الناس والحـــجـاره

وهو الذكر الحكيم ، والقـرآن الكريم ، والنور المبين ، وحبل الله المتين ، والربيع للـقلوب، والماحى للذنوب ، والـنافع الشـافى ، والكـافل الكافى، والنجاة لمن تبعه ، والهدى لمن قـرأه أو سمعه ، يَنْفِرُ عنه الذين أذهب الشرك لُبَّهم ، وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، يؤتى تاليه طلاقة وبشاشة ، ويكسب قارئه ارتيـاحاً وهشاشـة ، لا يمله القارئ ولا المسـتمع ، ولا تحصى الألسنة ثناءً على فضله المجـتمع ، حجتـه قاهرة ودرجته عليا ، وآيتـه البينة باقية مـا بقت الدنيا ، لا يزال غضَّاً طريَّـاً ، ولا يبرح عذباً شـهياً ، تكريره يزيده حـــلاوة ظاهرة ، وترديده يوجب المحـبـة الوافـــرة ، يُستَأْنَسُ به فى الخلوات، ويُسْتَلذ بتـرتيله فـى الصلوات ، لا تفنى عـجـائبـه ، ولا تطوى غرائبه، ولا تنقضى عِبَره ، ولا تضمـحل درره ، ولا يبلى على كثرة الترداد جديـد وصفهِ ، ولا يـأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه ، من قـال به صدق ، ومن رمى به حـرق ، ومن حكم به عدل ، ومن أقـسم به برئ من العذل ، ومن عمل به حـصل على الأجر العظيم ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم .

تمسَّك بحـــبل الله أعنى كـتـــابه

وقف عندهُ فـهـو المجـيـد المعظَّمُ

يبشر أهل الصالحات بنعمة

وفضل ويهدى للتى هى أقومُ

وينذر أقواماً عن الحق أعرضوا

وبالعدل والإنصاف يقضى ويحكمُ

به نزل الروح الأمين(٦) مُنَجَّماً(٧)

على خير مبعوث يرق ويرحمُ

محمد الهادى الذى بجنابه

يلوذ فصيحٌ فى المعاد وأعجمُ

عليه سلامٌ من سلامٍ مهيمن

مدى الدهر لا يفنى ولا يَتَصرَّمُ(٨)



---

(٦) الروح الأمين : جبريل .

(٧) منجّماً : متفرقاً حسب الأحداث والأحوال .

(٨) لا يتصرَّم : لا يتقطَّع .

فصـــل

فى انشقاق القمر وحبس الشمس وتكثير الماء له ﷺ(*)

ومن معـجزات رسول الله ﷺ أن أهل مكة سـألوه أن يريهم آية ، وذلك لقلة اليقين منهم وكـثرة الغواية ، فأراهم انشـقاق القمر فـرقتين ، حتى رأوا حراء يلوح بينهمـا علماً بين شعلتين ، وقال: «اشهـدوا» وهم حينئذ بمنى ، فأنصبَّ على أعدائه الأذى كما حصل أصحابه على المُنى ، فجعلها أبو جهل من حمقه سحرا ، وقال: ابعثوا إلى أهل الآفاق طرًّا ، فأخبر أهل الآفاق أن معجـزته كانت حقا ، وأنـهم عاينوا القمر تلك الليلة منـشقا(1) ، ومنهـا أن الشمس ردت لعلى بدعائه(2) ، وكلاهما زهرة من أرضه وقطرة من سمائه ،

---

* قدم القاضى عياض لأبواب معجزات نبينا ﷺ بمقـدمة جامعة نافعة نوردها بتصرف بسيط، قال رحمه الله : حَسْبُ المتـأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعـه لمنكر نبوة نبينا ﷺ ولا لطاعن فى معجـزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليـها وتحصين حوزتهـا حتى لا تتوصل المطَاعنُ إليها . . بل ألفناه لأهل ملته الملبين لـدعوته إيماناً مع إيمانهم وأثبتنا فى هذا الباب أمهـات معـجزاتـه ومشـاهد آياته الدالة على عظيم قـدره عند ربه ، وأتينا منها بالمحـقق والصحيح الإسـناد وأكثرها مما بلغ الـقطع أو كاد (١ / ٢٤٦) . قلت : وهذا مـا سلكه أيضاً ابن حبيب فى تلك الأبواب ، وما عدا ذلك - وهو نادر - فبينت حاله .

(١) أحاديث انشقاق القمر لنبينا ﷺ صحـيحة، والقرآن مُصَرِّحٌ بهذا ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول أو تشكيك بعض المعاصرين كالشيخ الغزالى : انظر: (السيرة الشامية ٩/ ٤٣٠).

(٢) حديـث « ردّ الشمس على عليّ » أورده ابن الجـوزى فى الموضوعـات (١ / ٣٥٥) ، وصحـحه الطحـاوى ، وصاحب الشـفا ، وأخرجـه ابن منده وابن شاهـين وابن مردويه والطبرانى بأسانيد بعضها على شرط الصحيح كما نص على ذلك السيوطى فى الخصائص الكبرى (٢ / ١٣٧) ، انظر : المقاصد الحسنة (٥١٩) ، كشف الخفاء (١٣٧٩) ،=

طلعت بعد ما غربت ، وشبت نار ذهبها بعد أن ذهبت ، ووقفت على الأرض وقفة ممتثل لما يؤمر ، وكان ذلك بالصهباء فى خيبر ، وحبست بدعائه الشمس ساعة وقريش ينظرون ، وزيد له فى النهار بعد أن اكتحلت بالقار منه الجفون ، وجرت هذه الكرامة التى ليس لها نظير ، فى واقعة الرفقة والعلامة التى فى العير ، وكان الغمام يُظله حيث سار ، وفئ الشمس يدور معه كيفما دار(٣) .

سبحان من أيدَّ خير الورى
بمعجزاتٍ خارقاتٍ غزار
وأمسك الشمس له ساعة
وردَّها طوعاً وزاد النهار
وشقَّ بين الناس بدر الدجى
شقاً أولو الألباب فيه تحار
هذا عطاءُ لمن اختاره
من هاشمٍ من مُضْرٍ من نزار

=الشذرة (٤٥٦) ، واللآلئ (١ / ٣٣٦) ، وفتح البارى (٦ / ٢٢١) ، السيرة الشامية (٩/ ٤٣٥) ، وأفردها بالتأليف الحافظ الشامى فى « مزيل اللبس من حديث ردّ الشمس » وهو مخطوط .

(٣) حديث حبس الشمس عزاه الحافظ الشامى فى سيرته (٩ / ٤٣٤) إلى الطبرانى ، وحسنه الهيثمى فى مجمع الزوائد ، ورواه البيهقى فى دلائل النبوة ، وإلى ذلك أشار الحافظ ابن سيد الناس فى كتابه « بشرى اللبيب بلقاء الحبيب » :

وقفت له شمس النهار كرامة — كما وقفت شمس النهار ليوشعا
وردَّت عليه الشمس بعد غروبها — وهذا من الإكرام أعظم موقعا

ومنها أن الناس التمسوا الماء فلم يصلوا إليه ، فطلب فضل ماء وصبَّه فى إناءٍ وضع بين يديه ، ثم إنه عليه الصلاة والسلام وضع فيه كفه الميمون ، فجعل الماء يسيل من بين أصابعه كأمثال العيون ، فتوضأ الناس عن آخرهم وكانوا ألفاً وخمس مئين ، ولو كانوا مائة ألف لكفاهم ببركة يمين من لا يُمين[4]، وأقبل الناس فى غزوة تبوك إلى العين ، وهى تَبِضُّ[5] بشىء من الماء دون عُشْرِ القلتين ، فغسل منه وجهه ويديه ، ثم أمر بإعادة الغسالة إليه، فجرت بماء كثير ارتوى منه الجيش ، وزال ببركته الظمأ وطاب العيش ، وورد الناس بئر الحديبية ، وهم إذ ذاك أربع عشرة مائه ، فلم يتركوا منها قطرة ، واذهبوا قُلَّ مائها وكُثره ، فقعد على جَبَاها[6] ، ودعا لها واستدعاها، فجاشت[7] كبحرٍ طما[8] أو غيث هتَن[9] ، فروى الناس حتى ضربوا بعَطَن[10] .

---

(٤) أحاديث نبع الماء من بين أصابعه ﷺ متواترة : انظر دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١١) واللؤلؤ والمرجان (١٤٦٨) ، والشفاء (١ / ٢٨٥) ، ومسند أحمد (٣ / ٣٤٣) ، والسيرة الشامية (٩/ ٤٤٧) ، وشرح السنة للبغوى (٣٦٠٧) وهذه الآية من أعجب الآيات أعجوبة وأجلها معجزة وأبلغها دلالة شاكلت دلالة موسى فى تفجير الماء من الحجر حين ضربه بعصاه ، بل هذا أبلغ فى الأعجوبة لأن نبوع الماء من بين اللحم والعظم أعظم وأعجب من خروجه من الحجر .

(٥) تبصُّ : من البصيص وهو البريق واللمعان ، وبالضاد المعجمة : القطر والسيلان القليل.

(٦) الجَبَا : هو ما حول فم البئر .

(٧) جاشت : فارت وارتفعت .

(٨) طما : ارتفع ماؤه .

(٩) هتَن : هطَل وتتابع مطره .

(١٠) انظر مسلم كتاب الجهاد (١٣٢)، وأحمد (٥/ ٢٣٧ ، ٢٣٨) . والعَطَن : واحد الأعطان ، وهو مَبْرَكُ الإبل عند الماء ، ومعناه : أنهم رُوُوا وأرْوا إبلهم ، فأبركوها عند الماء .

من كفِّ مُخْتَارِ الكَفَافِ مـحـمـدٍ

خيــر الورى نبع الـزلال الطاهرُ

روى من الماء القـليل جيــوشـه

حيث الأوام[11] له دلـيل ظـاهرُ

ومن العيـون الناضبات أسـال ما

هو للعـيـون من العسـاكـر باهرُ

لا غـرو أن يجـرى لـديه مَعـينهُ

ومُعـــينهُ الملك العـــزيز القـــاهرُ

وشكا الناس إليه العطش فـى بعض الأسفار ، فدعـا بالمِيْضأة[12] وجعلها من ضِبْنه[13] فى محل الإزار ، ثم التقم فمها فحلّت عليها البركة والسعادة ، فشرب الناس ومـلأوا آنيتهم وكانوا سـبعين رجلاً وزيادة[14] ، وأما الحـديث المرويّ عن عمران بـن حصين ، فى قصة المرأة والبـعير والمَزَادتين[15] ، وما شرب الناس من مائهما عند الظمأ فى السفـر ، فهو حديث يعرفه الثقات من أهل العـلم والأثر[16]، ولقـد أصـاب الناس شـدة من الـعطش فى جـيش

(١١) الأوام : شدة العطش .

(١٢) المِيْضَأة : هى آلة الوضوء ، مِطْهَرَة كبيرة .

(١٣) الضِّبْنُ : ما بين الكشح إلى الإبط .

(١٤) انظر : صحيح مسلم (١ / ٤٧٢) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٣٢) ، وشرح السنة للبغوى (٣٦١٠) ، والنسائى (١/٧٦) ، وأحمد (١/٣٩٨) .

(١٥) المَزَاداتان : المزادة أكبر من القربة ، والمزادتان حمل بعيـر ؛ سميت مزادة لأنه يزاد فيها من جلد آخر .

(١٦) انظر البخارى (٣٥٧١) ، ومسلم (١ / ٤٧٤) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦/ ١٣٠).

العُسْرة[١٧]، حتى أن الرجل لينحـر بعيره فـيشرب عصـير فَرْثه[١٨] من فـرط الحرة، فرغب أبو بكر فى الدعاء إليـه ، فرفع -زاده الله شرفاً لديه- يديه ، فلم يرجعا حتى أتت السماء من ديمها[١٩] بما لا يحصر ، فملأوا ما معهم من الآنية ولم تجاوز العسكر[٢٠] ، وعطش أبو طالب وهو رديفه بذى المَجَاز[٢١]، وليس هناك ما يُملك ولا يُحَاز ، فنزل وضرب الأرض بقدمـيه، فخرج الماء يفور ببركته صلى الله عليه [٢٢].

قف سـائلاً أرض المجـاز ومـا جـرى
منـهـا وسـال بجـانب المنهـاجِ
وسل الحـديبـيـة النزوحـة بئـرها
وتبــوك عنـد تلاطـم الأمـواجِ
وبقـاع جـيش الـعُسْرة اللاتى هَمَتْ
بركـات مـاء سـمـائهـا الـثـجَّاجِ
تخـبـرك عن آيات أشـرف مـرسل
ركب الـبُراق وسـار للمـعـراجِ
صلَّى علـيـه الله مـا ذهب الـدجـا
وأتى الضـحى بسـراجـه الـوهاجِ

(١٧) يعنى غزوة تبوك .
(١٨) الفَرث : بقايا الطعام فى الكَرِش .
(١٩) الديَم : جمع ديمة : المطر يطول زمانه فى سكون .
(٢٠) انظر الشفا (١ / ٢٩٠) .
(٢١) ذو المَجَاز : سوق عند عرفة من أسواق الجاهلية .
(٢٢) انظر جمع الجوامع (٢/ ٥٧٢) ، والديلمى (٦٩٥٥) ، والسيرة الشامية (٩/ ٤٦٣) .

فصــــل
فى تكثير الطعام ببركته ﷺ

ومن معجزاته أنه أطعم سبعين رجلاً من أقراص شعير ، كان أنسٌ قد جاء منها تحت إبطه باليسير وهو يسير ، بعد أن تقبلها بالقبول ، وقال فيها ما شاء الله أن يقول[1] ، وأطعم يوم الخندق باتفـاق الحُذَّاق ، ألف رجل من صـاع شعير وعَنَاق[2] ، بعد أن بصق وبارك فى العجين والبُرمة[3] ، والقصة معروفة من حديث جابر تغـمده الله بالرحمة[4] ، وصنع أبو أيوب له عليـه الصـلاة والسلام، ولأبى بكرٍ معه زهاء ما يكفيهـما من الطعام ، قال : فأجبت أمره ودعوت الأنصار ممتثلاً ، فأكل من طعـامى يومئذ مائة وثمانون رجلاً ، وأتى بقصعة فيـها لحم فتعاقبها الصـادرون والواردون ، ولم يبرحوا من الغداة إلى العشى يقوم قوم ويقعد آخرون[5] ، وصنعت شاةٌ فَشُوى سواد بطنها[6] لديه، وكان معه ثـلاثون ومائة من أصحابه صلى الله عليه ، قال عـبد الرحمن بن

---

(١) انظـر البخـارى (٣٥٧٨) ، ومـسلم (٣ / ١٦١٢) ، والترمـذى (٣٦٣٠) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٨٨) ، وموطأ مالك (٩٢٧) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم (١٤٧).

(٢) العَنَاق : الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول .

(٣) البُرْمة : القدر من الحجر .

(٤) انظر : دلائـل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٣) ، والبخارى (٥ / ٤٦) والسيرة الشـامية (٤ / ٥٢٠) ، والبداية والنهاية (٤/٩٧) .

(٥) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٠٩ - ٣١١) ، والطبرانى فى الكبير (٤/٢٢١)، والبداية والنهاية (٦/١٢٧) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦/٩٤) .

(٦) هو الكبد ، وقيل : حشو البطن كله .

أبى بكر فى حديثه المشهور : وأيم الله ما منهم إلا وقد حزَّ له حُزَّة[٧] من السواد المذكور[٨].

يا مُطْعِمَ المسكين والأسير
وجابرَ اليتيم والكسير
ويا جَوَاداً زادَ زادُ صحبه
ومن قليل جاء بالكثير
من ذا الذى ينكر ما تأتى به
يا رحمة المهيمن القدير
كم آيةٍ جئت بها بينة
ليس لها فى الخلق من نظير

وأصابت الناس مخْمَصة[٩] فى بعض مغازيه ، فجمع من الأزواد ما ربضة[١٠] العنز توازيه ، ثم دعا الناس بأوعيتهم الخليَّة ، فلم يبق فى الجيش وعاء إلا ملىء وبقيت بقية[١١] ، وأمر أبا هريرة -رضى الله عنه- أن يدعو له أهل الصُفَّة، فتتبعهم حتى جمعهم ووضعت بين أيديهم صَحْفَة[*] ، يا لها

(٧) حُزَّة : القطعة من اللحم المحزوزة ، وبفتح الحاء المرة من الحز .

(٨) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١١) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٩٥) ، وفتح البارى (٥ / ٢٣٠) ، ومسلم (١٦٢٦ - ١٦٢٧) ، وأحمد (١/ ١٩٧).

(٩) المَخْمصة : المجاعة .

(١٠) يقال : ربضت الغنم تربض ربوضاً ، وهو من البقر والغنم والفرس والكلب مثل البروك من الإبل والجثوم من الطير .

(١١) انظر: دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٢) ،ومسلم (١/ ٥٦) ، والبخارى (٢٩٨٢).

(*) الصَحْفَة : دون الجفنة وفوق الكيلة .

صَحْفَة تخجل مَنْ جفانه الغُرّ فى الضحى لمعت ، وأكلوا منها ما شاءوا وفرغوا وهى مثلها حين وضعت ، وسقى جميعهم من قدح لبن ، فروَوْا منه حتى كادوا أن يضربوا بعَطَن[(١٢)] ، وجمع بنى عبد المطلب وكانوا أربعين ، فصنع لهم مُداً من طعام فأكلوا وشبعوا أجمعين ، ودعا بعُس فشربوا حتى بلغوا من ريهم المطلب ، وبقى الطعام والشراب كأنه لم يؤكل ولم يشرب[(١٣)]، وأمر مرة عمر بن الخطاب أن يزود أربع مائة من الركاب وعيَّن له تمراً قدر الفَصِيل الرَّابِض[(١٤)] ، فأعطى منه كلاً منهم ما شاء وهو به راضٍ وعليه قابض[(١٥)] .

أفاد صحابه خيراً ومَيْراً
وقد جاؤا بأوعية خليّه
وأطعمهم كثيراً من قليلٍ
وأرشدهم إلى الطرق الجليَّه
وأتحف من دنا منه ووافى
إليه من الهداية بالهديَّه
وكم للمصطفى من مكْرُمَاتٍ
تفيد ومن كرامات عليَّه

(١٢) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٥) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٠١) ، والبخارى (٦٤٥٢) ، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٥) .

(١٣) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٧) ، وعزاه فى السيرة الشامية (٩/ ٤٧٦) إلى ابن جرير وابن أبى حاتم ، والعُس : قدح كبير من خشب.

(١٤) الفَصِيلُ : ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه وفصله عن أمه .

(١٥) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٩) ، والسيرة الشامية (٩/ ٤٨٤) .

وحديث مِزْوَد[١٦] أبي هريرة معروف ، وما حصل فيه من بركة يده الكريمة موصوف ، أطعم منه الجيش وجماعة من صحبه ، وحمل من تمره كذا وكذا وَسْقًا[١٧] فى سبيل ربه ، وآثر الناس منه مدة من الزمان ، واستمر على ذلك إلى أن ذهب منه فى قتل عـثمان[١٨] ، وخبر جـابر مع غرماء أبيـه مذكور، وتكثير التمـر عند وفاء ديونهم بدعائه مسطور[١٩] ، وقصة قِدْر فاطـمة سيدة نساء العالمين، وفيضه بعد أكل الجمع الكثير منه لا يخفى عن أئمة المحدثين ، وكذا حـديث وليمـتها بالأمـداد والجزور ، وما فـضل بعد أكل الناس كـافة مأثور[٢٠] ، ولما ابتنى بزينب أمر بـأن يُدْعَى له الناس ، ويُقَدَّم إليهم مُداً من تمر بعد أن يُحاس[٢١] ، فجـعلوا يأكلون ويخرجون زمراً زمـراً ، قال أنس: وكان القوم أكثر من سبـعين نفراً ، بل كانوا زهاء ثلاثمائة فى رواية أخري ، وهذا سهل لديه ﷺ ولو كانوا عدد جيش كسرى[٢٢] .

أنسٌ ونجلُ عَتـيق الـعَدْل الرضـا

وأبو هريرة وابـن خطابٍ عـمـرْ

---

(١٦) المِزْوَد : الوعاء من جلد وغيره يجعل فيه الزاد .

(١٧) الوَسْقُ : مِكْيَلَةٌ معلومة ، وهى ستون صاعاً ، والصاع خمسة أرطال وثلث .

(١٨) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٥) ، ودلائل النبـوة للبيهقى (٦ / ١٠٩) ، والترمذى (٥ / ٥٨٥) وقال : حسن غريب ، والسيرة الشامية (٩ / ٤٧١) .

(١٩) انظر : دلائل النبـوة لأبى نعيم (ص ٣٢٦) ، والبـخارى (٤٠٥٣) ، وشرح السنة للبغوى (٣٦١٦) ، والنسائى (٦/٤٦) .

(٢٠) انظر تفـسـير ابن كثـير (١/٢٩)، والشـفا (١ / ٢٩٧) وعزاه للآجـرى ، وعزاه فى السيرة الشامية (٩ / ٤٨٣) إلى أبى يعلى .

(٢١) يُحاس : الحَيْسُ هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق .

(٢٢) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٦) ، والسيرة الشامية (٩/ ٤٨١) .

وكــــذا أبو أيوب يَتْبَعُ جـــابرا

كلٌّ روى مــا قد رواه مــن الخبـرْ

ذكــروا الطعام ومــا تزايد فيــه مِنْ

بركـــات مَنْ بدعـــائه نــزل المطرْ

هو أحــمـــدٌ رب القــراءة والقِرىٰ

صلَّى عليــه الله مــا طلع القــمــرْ



فصـــل

فى كلام الشجر والحجر وطاعتهما له ﷺ

ومن معجزات رسول الله ﷺ أن المسجد كـان على جذوع نخل مسقوفاً ، وكان إذا خطب يلازم فى قيامه جذعاً منهـا معروفاً ، فلما صُنِعَ منبره العلىّ الدَّرَج الرَّفيـع المنار ، سمع الناس لذلك الجـذع صوتاً كـصوت العِشَار[1] ، حتى ارتجَّ المسـجد بخواره ، وكـثر البكاء لتـصدعه وانكسـاره ، فوضع يده الكريمة عليه فـسكت ، والتزمه لمَّا علم حنينه إليـه فصمت ، ولو لم يلتـزمه -أعلى الله مقامه- لبقى كذلك إلى يوم القيامة[2] ، وفي رواية أنه دعاه فجاء يخرق الأرض طائعاً ، فـالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه راجـعاً ، وفى أخرى قال له: إن شئت أردك إلى مـا كنت فيه مع الشجـر ، تنبت عروقك ويكمل خلقك ويُجَدَّد لك خوص وثمر ، وإن شئت أغرسك فى الجنة ، فقال : بل تغرسنى فيها ولك المنة ، رغب لسعـادته فى دار البقاء ، واختارها لخيره على دار الفناء ، وفى رواية فـأمر به فـدفن تحت منبره ليـصلى إليه ، فلمـا هدم المسجد أخذه أُبىٌّ فكان عنده رحمة الله عليه .

---

(١) العِشَار : جمع عُشراء ، وهى الناقة التى انتهت فى حملها إلى عشرة أشهر .

(٢) أحاديث حنين الجـذع متواترة عن جمع غـفير من الصحـابة . انظر : دلائل النبوة لأبى نعـيم (ص ٢٩٧ - ٣٠٠) ، ودلائل النبـوة للبـيهـقى (٦ / ٦٦) ، وسنن ابن ماجـة (١٤١٤) ، والبخـارى (٣٥٨٤) . ونظم المتناثر (١٣٤ - ١٣٥) ، والأزهار المتناثرة (٣٦) ، والخصائـص الكبرى (٢ / ١٢٦) ، والزرقـانى على المواهب (٥ / ١٣٣) ، ومثير الغرام الساكن (٤٦٩) ، والسيرة الشامية (٩ / ٤٩٤) .

الجذع حنَّ إلى الرسـول المصطفى

باللهِ أُقْـسِمُ أنه مـــعـــذورُ

قـد كان حـال القـرب من أنواره

فى نعـمـة إقـبـالهـا مـأثورُ

فـغـدا لفـرقة بـدره متـصـدِّعـاً

يبـدى الأنين وقلبـه مكسـورُ

من ذا الذى يقوى عـلى هجران مَنْ

بين البـرية فـضلُه مـشـهـورُ

وخرج إلى نواحى مكة فى بعض الأيام ، فما استقبله شجرٌ ولا حجرٌ إلا شافهه بالسلام[٣] ، ولما أتى جبريل بالرسالة المعظمة إليه ، جعل لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه[٤] ، وأمَّنَت الأبواب والجدران على دعائه[٥] ، وكان كل من الحجر والشجر يسـجد له إذا مرَّ بإزائه ، وعرض الإسلام على بعض الأعراب ، فـقال : من يشـهد لك علـى ما تقول بـالصواب ، فأشـار إلى سمرة[٦] بشاطىء الوادى ، فأقبلت تَخِدُّ[٧] الأرض بحضرة الحاضر والبادى ،

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٥٣) ، والترمذى وحسنه (٣٦٢٦) ، والحاكم وصححه (٢/ ٦٥)، والدارمى (١/ ١٢) . ودلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٢٨٨) .

(٤) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٤) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٧١) ، وشرح السنة للبغوى (٣٦٠٤) وقال : حديث غريب .

(٥) انظر دلائل النبوة للبيهقى (٦/ ٧) ، والبداية والنهاية (٦/ ١٥٣) .

(٦) السمُرة : من شجر الطَّلح ، وهو نوع من العَضَاه .

(٧) تَخِدُّ : تشق . وشاطىء الوادى : طرفه وجانبه .

حتى قامت بين يديه فشهدت ، ثم صدرت إلى مكانها بعدما وردت[٨] .

وسأله أعرابيٌ آيةً، تكون سبباً للهداية ، فأمر بدعوة بعض الشجر، فأقبلت الشجرة إليه ممتثلة لما أمر، فسلَّمت عليه ، ووقفت بين يديه ، ثم رجعت بإشارته إلى منبتها[٩] ، وكم له من آية منقولة عن مُثْبتها .

وذهب يقضى حاجته فى بعض الأحيان ، فلم ير شيئاً يستتر به عن العيان، فلحقت بصاحبتها إحدى شجرتين ، وعادتا على شخصه الكريم ملتئمتين، ثم افترقتا بعد الإتفاق، وقامت كل واحدة منهما على ساق[١٠] .

إذا جاء الجمادُ إليه طوعاً

وخاطبهُ فلا تعجبْ لذاكا

أتى يبغى التَّدانى من نبىٍّ

علا مقداره وسما السِّماكا

رسول الله أفلح من ترامى

عليك وفاز من وافى حِمَاكا

وفى ناديك من حُلَّت حباه

تلفع بالملابس من حَبَاكا

(٨) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٢٨٩) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٤) ، والطبرانى فى الكبير (١٢/ ٤٣٢) ، ومعانى الآثار للطحاوى (٣/ ٢١) ، والمطالب (٣٨٣٦) .

(٩) انظر : الخصائص الكبرى (١ / ٢٠٢) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٤ - ١٧) ، والسيرة الشامية (٩/ ٤٩٩) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٢٨٩) .

(١٠) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٢٨٩) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٢٠) ، ومجمع الزوائد (٩ / ٦) ، ومسلم (٤/ ٢٣٠٦) ، والتمهيد لابن عبد البر (١/ ٢٢٢).

وذهب لحاجته فى بعض مغازيه ، وأسامة بن زيد فى صحبته يناجيه ، فأمره أن يدعو له نخلات وحجارة ، ليكن له منزلة الوقاية والستارة ، فتقاربت النخلات حتى عدن لزاماً ، وتعاقدت الحجارة حتى صرن خلفهن ركاماً ، فلما قضى حاجته من منافعهن ، رجعن بإشارته إلى مواضعهن[١١] . وجاءت للسلام عليه طلحة[١٢] أو سمرة[١٣] من قبل نفسها ، فأطافت مُلِمَّة به ثم رجعت إلى منبت غرسها[١٤] . ومن حديث ابن مسعود -رضى الله عنه- أن الجن قالوا : من يشهد لك بما عنه تدافع ؟ قال: هذه الشجرة، فجاءت تجر عروقها ولها قعاقع[١٥] ، وسار فى غزوة الطائف ليلاً ، وقد أسبل الوسن من جفنه ذيلاً ، فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين ، واستمرت باقية قائمة على ساقين[١٦] ، ودعا ببعض الأودية غصناً من شجرة، فجاء يخط الأرض مطيعاً لما أمره ، فحبسه بمشيئة من أعطى ومنع ، ثم قال له: ارجع كما جئت فرجع[١٧] ، وقصد هداية أعرابى إلى السبيل ،

---

(١١) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٢٩٢) ، وجمع الجوامع (٢/ ٥٨٧) .

(١٢) طلحة : واحدة الطلح وهو شجر عظيم من شجر العضاه .

(١٣) السمُرة : شجرة من شجر الطلح .

(١٤) ويرحم الله الإمام البوصيرى حيث قال :

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة ... تمشى إليه على ساقٍ بلا قدم

كأنما سُطِرت سطراً لما كُتبت ... حروفها من بديع الخط فى اللَّقَمِ

(١٥) قعاقع : حكاية صوت السلاح .

(١٦) الشفا (١ / ٣٠١) وعزاه إلى ابن فورك .

(١٧) الشفا (١ / ٣٠٢) .

فدعا بحضرته عِذْقاً[18] من النخيل، فجعل يَنْقِزُ[19] حتى أتاه ، ثم رجع بأمره إلى مكانه ومثواه[20] .

نبيٌ له الأشـجار جـاءت مطيعـة
نبيٌّ عليـه سلَّم الحـجـر الصَّلْد
نبيٌ هُدىَ حـتى الجـمـاد يجيـبـه
نبـيٌ كـريمٌ مـا لدعـوته رَد
له الفضل والإفضـال والبر والتقى
له العدل والإحسان والجود والمجد
عليـه سـلام الله مـا ذرَّ شـارق
وما مال فى كثبانه البَان[21] والرَّنْد[22]



(18) العذْق : قِنْو النخلة .
(19) يَنْقَزُ : ينبت صعدا .
(20) الشـفا (1 / 303) وعزاه إلى الـترمذى وقـال أبو عيـسى : حديث حـسن ، وانظر السيرة الشامية (9 / 499) .
(21) البَانُ : ضرب من الشجر ، يُشَبَّه به الحسان فى الطول واللين .
(22) الرَّنْد : شجرٌ طيب الرائحة .

فصـــــل

فى كلام الحيوان والجماد وطاعتها له ﷺ

ومن معجـزات النبى ﷺ أن الضَّب كلمه فى محفل من أصـحابه ، وقال له : لبيك وسعديك يا زين من وافى القيـامة حال خطابه ، ونطق بربوبية آله الأولين والآخرين، وشـهد أنه رسول رب العالمين وخـاتم النبيين[1] ، وأخبر الذئب راعى الغنم بنبوته وعـظمته ، وقتـاله المشركين حينئذ وعلُوِّ كلمـته ، فحكَّمه الراعى فى غنمـه ، ومضى ليحقق صدقَ كلِمه ، فوجـده فى القتال كما قال ، فأسلم وعـاد واجداً غنمه على أكمل حال[2] ، وسبَّح المأكل بين يديه بلغة فـصيحة ، قـال ابن مسعـود : كنا نأكل معه الطعـام ونحن نسمع تسبيحه[3] . وأخذ كفاً من حصى فسبَّحن فى يده ، وهو حديث رواه الثقات عن أنس بسنده[4] ، ومرض فجاءه جبـريل بطَبق فيه عنب ورمَّان ، فلما أكل

---

(١) عـزاه السـيـوطى فى الخـصـائص الكبـرى (٢ / ١٠٧) إلى : الطبـرانى فى الأوسط والصغـير، وابن عدى ، والحاكم ، والبيـهقى فى دلائل النبوة (٦ / ٣٦) ، وأبى نعيم فى الدلائل (ص ٢٧٨ ، ٣٨١) وابن عـساكـر . وزعم ابن دحيـة أن الحديث مـوضوع وكذا الذهبى ، وتعقـبهم السيوطى فى الخـصائص (٢ / ١٠٧) ، والحـافظ الشامى فى سيرته (٩/ ٥٢٠) .

(٢) انظر : الخصائص الكبرى (٢ / ١٠٢) وعزاه إلى أحمد (٣ / ٨٨) ، وابن سعد ، والبيـهـقى فى الدلائل (٦ / ٤١) ، والحـاكم ، وأبى نعـيم فى الدلائل (ص ٢٧٦ ، ٢٧٧) ، والحديث صحيح .

(٣) رواه الشيخان والترمذى وأبو الشيخ وابن مردويه (السيرة الشامية ٩ / ٤٩٣) .

(٤) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٢ ، ٣٢٣) .

منه سبَّح للملك الديان[٥] .

يا مُرْسَلاً خـاطبـه ضَبٌّ الفَلاَ

وأخـبـر الذئب به راعِيَ الـغنمْ

وسـبَّحت فى كـفه صُمُّ الحـصى

وأظهـر الأنوار من بعـد الظلمْ

لولاك مـا غاب العدى لـولاك ما

آب الهـدى كـلاّ ولا أم الأممْ

أقـسم يا ربَّ المقـام المجْـتلى

أنك خـيـرُ النَّاس عُرْب وعَـجَمْ

وكان حول البـيت ثلاثمائة وستون صنمـاً ، أرجلُها مثبـتة بالرصاص فى الحجارة إثباتاً محكماً ، فلما دخل عام الفتح إلى المسجد الحرام ، جعل يشير بقـضيب فى يده إلى تلك الأصنـام ، فوقـعت لوجوههـا وظهورها حـسب إشارته ، وكم له من آية بينة تدل على كثرة فـضله وغزارته ، وكلام «ضمارٍ» صنم عـبَّاس بن مِرْدَاس ، وإنشـاده للشـعـر الذى ذكـره لا شك فـيـه ولا التباس[٦]، وكذا كلام الطائر الذى عند ضمار سقط ، وشـهادته برسالته غير خاف عمن روى وضبط ، وسـجدت له الغنم فى حائط بعض الأنصار[٧] ،

---

(٥) عزاه السيوطى فى الخصائص الكبرى (٢ / ٩٣) إلى ابن عـساكر وقال : فيه حفص بن عمر الدمشقى . قال البخارى : لا يتابع عليه . وقال الذهبى : خبر منكر .

(٦) الخبر أورده أبو نعيم فى دلائل النبوة (ص ٧٢) .

(٧) الحديث أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٢٨١) ، وانظر مجمع الزوائد (٩/ ٤) .

والبعير برك بين يديه ومن الذبح به استجار[٨] .

أشـار إلى الأصنام فى فـتح مكة

فخـرَّت وعاد البـيت منها مُطَهَّرا

وأخـبـر عن إرسـاله الطائر الذى

أفـاد ضـمـاراً مـا أسـرَّ وأضْمَرا

كـرامات مـعروف المكارم عـارف

يفوق الورى فـضلاً وخُبراً ومَخْبَراً

وحديث ناقته العضباء[٩] وكلامها له مشهور ، ومبادرة العشب إليها وتجنب الوحوش عنها فى الكتاب مسطور، على أنها بعد وفاته ما اقتاتت، ولم تأكل ولم تشرب حتى ماتت ، وأظلته حمام مكة يوم فتحها ، وازدلفت إليه البدن فى بعض الأعياد لذبحها ، ونبتت بأمرالله تجاهه شجرة ليلة الغار ، ونسجت العنكبوت ووقفت الحمامتان ستـراً له من الكفار، واستجارت به الظبية الموثقة فى الحبالة ، وخصته بياء النداء شـاهدة له بالرسالة ، وسألته إطلاقها لترضع خُشْفيها[١٠] ثم تعود، فعاهدهـا وأطلقها فغابت ثم آبت وافية بـالعهود، فلما عـادت أوثقهـا نظراً فى حبـال الصيـاد، ثم أعـتقـها بإذنه لما اسـتيـقظ من الرقاد[١١].

(٨) انظر : مـسند أحـمد (٣/ ١٥٠) ، ومجـمع الزوائد (٩/ ٤) ، ودلائل النبوة لأبى نعـيم (١٣٧) ، والتمهيد لابن عبد البر (١ / ٢٢٤) ، والسيرة الشامية (٩/ ٥١١).

(٩) العضباء : هى المقطوعـة الأذن . وقيل : بل هو اسمٌ لها ، ولم يكن بها عَضَبٌ ، وهذا اختيار أبى عبيد .

(١٠) الخُشف : ولد الغزال .

(١١) انظر : دلائل النبوه لأبى نعيم (٣٢٠)، ودلائل النبـوة للبيهقى (٦ / ٣٤)، والحديث ضعفه ضعفه الحافظ، لكن كثرة طرقه تشهد أن للقصة أصلاً (السيرة الشامية ٩/ ٥١٩).

حَامَ الحَمَامُ عليـــه إجـــلالاً له

وبه استــجــارت ظبــيــةُ القنَّاصِ

شــهدت بمبــعثــه وأبدت شجــوها

بلـــــــــانٍ لا هذر ولا خَرَّاصِ

آياتُ حــق حـــار كل مـــؤرخ

فى حــصــرها ومــحــدّث قَصَّاصِ

وتنحَّى الأسد عن طريق مولاه سـفينة ، حين علم أنه مجهـز من حضرته العالية المكينة[١٢] . وقصـة الحمار الذى كلمه حـين أصابه بخيبـر ، وذكر أن اسمه يزيد بن شهاب معروفة لا تنكر[١٣] ، وشهدت الناقة عنده على مدَّعيها بإفكه ، واعترفت أن صاحبها لم يسـرقها وأنها جارية فى ملكه ، وأتت إليه عنزٌ فى عسكره المنصور ، وذيل الماء على منزلتـهم غير مجرور ، وهم زهاء ثلاثمـائة بالعطـش مـحصـورون ، فـحلبـهـا ورَوَّاهم ثـم انطلقت وهم لا يشعرون[١٤] . وأَمَرَ فرسه وقـد قام إلى الصلاة بالوقوف ، فما حـرَّك عضواً حتى فرغ من صلاته وتفرَّقت الصفوف ، وكان الداجن[١٥] فى بيته يقر ويثبت

---

(١٢) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٤٥) ، وشرح السنة للبغوى (٣٦٢٦) ، ومصنف عبد الرزاق (٢٠٥٤٤) ، والسيرة الشامية (٩ / ٥١٩) .

(١٣) عزاه السيوطى فى الخصائص الكبرى (٢ / ١٠٧) إلى ابن عساكر .

(١٤) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٩) .

(١٥) الدَّاجن : ما ألف الناس فى بيوتهم كالشاة التى تعلف ، والدجاج ، والحمام ، وسمّى داجناً لإقامته مع الناس .

إذا دخل إليه ، ويجىء ويذهب إذا خرج منه صلَّى الله وسلم عليه[١٦].

نبـىٌّ وَبْلُ مـــركـــزه غـــزير

فـــدع طَلَّ السـحـــائب والرَّذاذا

نبىٌّ أمـــر مـعـــجـزه كـبـيــر

به حـــتى جـمـــاد الأرض لاذا

وأقـبل نحـوه الحـــيـوان طوعـاً

يروم بكهـــفـه العـــالى عـــيـاذا

عليـــه صـلاة رب ذى ســـهـامِ

إذا مـــا أرسلت نفـــذت نفـــاذا



(١٦) الشفا : (١ / ٣٠٩) ، ومسند أحمد (٦ / ١١٢) ودلائل النبوة للبيهقى (٦/ ٣١).

فصـــــل

فى كلام الموتى والأطفال وإبرائه ذوى العاهات ﷺ

ومن معجزات رسول الله ﷺ الشاة المصلية[١] ، التى بخيبر أهدتها له اليهودية، أخبرته بأنها مسمومة ، وأن عاقبة الأكل منها مذمومة ، ومات بشر ابن البراء وهو أحد من أكل منها ، وفى رواية أن ذراعها أو فخذها تكلَّم عنها ، ثم أن اليهودية اعترفت بما عملت ، فأمر بها عليه الصلاة والسلام فقتلت[٢] ، وأتى بغلام يوم ولادته ، فنطق بين يديه شاهداً برسالته ، ولم يتكلم الغلام بعدها حتى شب[٣] ، وليس ذلك بمستنكر بعد كلام الظبية والضَّب، وانطلق مع الرجل الذى طرح ابنته فى الوادى ، فناداها باسمها فخرجت وهى بتلبيته تنادى ، فقال: إن أحببت أن أردك على أبويك فقد أسلما ، قالت: لا حاجة لى فيهما ، وجدت الله خيراً منهما[٤] ، وأما حياة الشاب الأنصارى الذى مات ، وما دعت به الأم العجوز العمياء من الدعوات، وما ذكرته من هجرتها إلى الله ورسوله ، فعن أنس نقل حديثه

---

(١) المَصْليَّة : المشْويَّة .

(٢) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ١٣١ ، ١٣٢) ، والسيرة الشامية (٥ / ٢٠٨) ، والبداية والنهاية (٤ / ٢٠٨) ، وابن هشام (٢ / ٣٣٧) . وقيل : لم يقتلها رسول الله ﷺ لأنه كان لا ينتقم لنفسه . وقيل : بل قتلها عندما تحقق موت بشر .

(٣) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٥٩) ، ونقله ابن كثير (٦ / ١٥٩) وقال : إسناده غريب . قلت الحديث حول إسناده كلام .

(٤) الشفا (١ / ٣٢٠) .

من لا يرتاب في نقـوله[٥] ، وتكلم ثابتٌ بن قـيس حين أدخل إلى قبـره ، فشهـد له بالرسالة وذكر اسمه السـامى نجم قدره ، وكان قد قتل باليـمامة ، تغمده الله بالرحمة والكرامة[٦] ، وتكلم أيضاً زيـدٌ بن خارجة بعـد وفاته ، فذكـر اسمه الكريم ورسـالته المعظمة وبعض صـفاته ، وسلم عليـه بأفصح لسان، ثم عاد ميتاً كما كان[٧] .

تكلمت الموتـى بحضـرة أحـمـد

وخـاطبـه فى يوم مـــولده الطفلُ

وما ذاك بدعاً بعـد تكليم بعضهم

لعـيسى كـمـا وافى إلينا به النقلُ

وقـد أخبـر الرحمنُ أن مـحمـداً

على سائر الرسل الكرام له الفضلُ

هو المصطفى المختار والشاهد الرّضا

هو المنذر الوهاب والحكم العـدلُ

وكان قـتاده أسكنه الله بحبـوحة جنته ، قد أصـيبت عينه يوم أحـد حتى وقعت على وَجْنته[٨] ، فردَّها صلى الله عليه، فكانت بعدُ أحسنَ عينيه[٩] .

---

(٥) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٥٠) ، والسيرة الشامية (١٠/ ١٤) .

(٦) الشفا (١ / ٣٢٠) .

(٧) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٥٠) ، والتاريخ الكبير (٢ : ١ : ٣٨٣) .

(٨) الوَجْنة : ما نتأ من لحم الخدّ ، وهما وجنتان .

(٩) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٣/ ٢٥٢) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٦٥) .

وأصيب وجه أبى قتادة بقِدْح من القِداْح[١٠] ، فبصق على جرحه فما ضرب عليه ولا قاح[١١] ، وتشفع به إلى الله بعض العُميان[١٢] ، فكشف عن بصره كشفاً عوَّضه عن الخبر بالعيان .

وابن ملاعب الأسنة نهكه استسقاء طرأ عليه ، فشفى بحثوه من الأرض تفل عليها وجهزها إليه[١٣] .

ولما ابيضت عينا فُدَيْك وذهب نظره ، نَفَثَ[١٤] فى عينه ﷺ فارتد إليه بصره، حتى كان يدخل الخيط فى الإبرة ، والقوم يرفعون إلى ثمانين حجة عمره[١٥] .

ورُمِىَ كُلْثُوم بن الحُصَين يوم أحد فى نحره، فبصق فيها فبرأ بأمر من لا رادَّ لأمره[١٦] .

ولم تدم شَجَّة [١٧] عبد الله بن أُنَيْس ، حيث تفل عليها من شهد بنبوته أويس[١٨] .

---

(١٠) القداح : جمع قِدْح ، وهو السهم أول ما يقطع تُسمَّى قِطْعاً ، ثم يُبْرى فيُسمى بَرْيا ، ثم يُقَوَّم فيقال له : القِداح ، ثم يُراش ويُركَّب فهو حينئذ سهم .

(١١) قَاح : يقال قاح الجرح وقيح إذا حصل فيه المدة التى لا يخالطها دم ، والحديث فى السيرة الشامية (١٠ / ٤١) .

(١٢) انظر الشفا (١ / ٣٢٢) وعزاه إلى النسائى .

(١٣) انظر الشفا (١ / ٣٢٢) .

(١٤) النَّفْثُ : نفخٌ ليس معه ريق .

(١٥) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٥١) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٧٣) ، وعزاه فى الشفا إلى العقيلى (١ / ٣٢٣) .

(١٦) انظر الشفا (١ / ٣٢٣).

(١٧) الشَّجُ فى الرأس خاصة ، والفَلُّ فى الأعضاء كلها .

(١٨) عزاه الحافظ الشامى فى سيرته (١٠ / ٢٣) إلى البغوى والطبرانى .

وفى عينى على نفث يوم خيبر ، فأصبح رمده لم يكن شيئاً يذكر[١٩] .

كف رســــول الله كـم أبرأت

عينـاً وأجرت فى الفَلاَ من عـيون

وكم ســقـيـم مـدنف صـيَّرت

تحـريك مـا أسـقـمـه فى سكون

واسـأل فَدَيكاً إن تـشـأ أو فـسل

قـتــادة تظفـــر بسـرٍّ مـــصـون

واعلم بـأن الصـادق المجـتــبى

أصـــعب من هذا عليـــه يهـــون

ونفث على ساق سلمة بن الأكوع ، فبرأت من ضربة أصابتها فى يوم هو سمَّاه يوم الرُّضْع[٢٠] ، وأصاب رِجْلَ ابن مـعاذ السيفُ ، فـبرأت بنفث من ببركـته يذهب الجَنَف والحَيْف[٢١] ، وانكسـرت يوم الخنـدق سـاق على ابن الحكم ، فنفث عليها فبرأ مكانه ولم يحصل له ألم[٢٢] ، واشتكى علىٌّ فدعا له ثم ضـربه برجله، فلم يعـد إليـه ذلك الوجع أبداً من أجله[٢٣] ، وقطع

---

(١٩) انظر الشفا (١ / ٢٣٢) ، والسيرة الشامية (١٠ / ١٧) .

(٢٠) انظر البخارى (٧ / ٤٧٥) .

(٢١) الجَنَف : الجور والظلم، والحَيْفُ مثله .

(٢٢) انظر : دلائل النبـوة للبيـهـقى (٦ / ١٨٥) ، والإصـابة (٢ / ٥٠٧) وعـزاه إلى البغوى فى معجمه وابن السكن وابن منده . وقال ابن منده : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وعزاه فى سبل الهدى والرشاد (٤ / ٥٢٢) إلى الطبرانى أيضاً .

(٢٣) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٧) .

أبو جهل يد معوذ بن عَفْراء يوم بدر ، فبصق عليها وألصقها بإذن من شَرَحَ له الصَّدر[٢٤] ، وضُرِبَ خبيب على عاتقه فتهدَّل شقه ومال ، فنفث عليه ورده إلى ما كان عليه قبل القتال ، وبرأ صبى الخثعمية بغسالة يديه ، وعَقَلَ عقلاً كثيراً ببركته صلى الله وسلم عليه[٢٥] ، وانكفأت القدر على ذراع ابن حاطب وهو صغير ، فمسح عليه ودعا له فبرأ لوقته بإذن اللطيف الخبير[٢٦]، وكانت فى كف شُرَحْبِيل سَلْعَة[٢٧] ، منعته القبض على السيف وضيقت ذرعه ، فما زال يطحنها بكفه حتى ذهبت ، وزال أثرها ببركة يده التى كم أبرأت وكم وهبت[٢٨] ، وأبرأ غير واحد من ذى جِنَّة وذى وَصَبْ، ولم يُؤت بأحد به مسٌ وصكٌ فى صدره إلا ذهب .

يا من له الرُّتب العليَّة والحسب

يا من حوى شرف المغارس والنَّسبْ

دعواتك اللاتى نمت بركاتها

كم أذهبت ما كاد يفضى للعَطَبْ

---

(٢٤) السيرة الشامية (١٠ / ٢٣) .

(٢٥) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٤٩) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٥ / ٤٤٤) .

(٢٦) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٥١) ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٧٤) ، والحاكم (٤ / ٦٢) ، والبخارى فى تاريخه (١ / ١٧) .

(٢٧) السلْعة : زيادة تحصل فى الجسد كالغدة تكون من قدر الحمصة إلى قدر البطيخة .

(٢٨) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٧٦) ، والسيرة الشامية (١٠ / ٢١) .

من ضـــــربة عنـد النزال وطعـنة

تأتى ومن مَسٍّ يُصيب ومن وَصَبْ[٢٩]

أنت الـذى بلغ المُنى مـن عُدَّ من

خُدَّام سنتك الـشـريفـــة والأدبْ

صلَّى عليك مــدبّر الأكـوان مـا

ظهر الضيـاء من الغزالة[٣٠] واحتجبْ



(٢٩) الوَصَب : التعب .

(٣٠) الغزالة : الشمس عند طلوعها .

فصـــل
فى دعائه المستجاب ﷺ

ومن معجزات النبى سلم الله عليه سلاماً لا تفنى مواد مدده ، أنه كان إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولدهُ وولد ولده ؛ دعا لأنس بالبـركة وتكثير الولد والمال ، فلم يُعْلم أحد نال من كثرة الولـد ورخاء العيش ما نال ، تمتع بالمال الكثير فى سلمه وحـربه ، ودفن بيديه مائة ولد من صلبه[١] ، ودعا بالبركة لعبـد الرحمن بن عـوف ، فطافت الأموال حول بيـته أجـزل طوف ، حتى تصدق مرَّة بِعِيرٍ ، فيها سبعـة مائة بَعيْر ، وأطلق جزلاً وأنجز وعداً ، وأعتق فى يوم ثلاثين عبداً ، وظهر فى تركته من الذهب ما ثقل حملاً وعز وصفاً ، حتى أخذت كل زوجة من زوجاته الأربع ثمانين ألفا ، ودعا لمعاوية بالتمكين فى البلاد ، فنال الخـلافة وحكم فى الطريف[٢] والتلاد[٣] ، ودعا لسـعد بن أبى وقاص بإجابة دعوته ، فـما دعا لأحد بعد إلا استجـيب له ببركته[٤] ، واستـجيب له ﷺ فـى عمر وعـز به الإسلام به مـن رب البشر ، قـال ابن مسعود: ما زلنا أعزةً منذ أسلم عمر .

---

(١) انظر البخارى (٦٣٤٤) ، ومسلم (٤ / ١٩٢٩) ، ومسند أحمد (٣ / ١٠٨) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٩٤) ، والترمذى (٣٨٣٣) .

(٢) الطَّريف : الحديث المستفاد من المال .

(٣) التِلاد : المال القديم ، وانظر الحديث فى أبى داود (٢٠١٩) .

(٤) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٨٩) ، وصحيح مسلم (١ / ٣٣٥) ، وفتح البارى (٢ / ٢٣٦) .

نـعـم أعـــــــــزَّ ديـنـنـا

إســـلام ذى العـــزم عُـمَرْ

الـزاهد الـعــــــدل الرضـى

رب الفـــتـــوح والظفـــرْ

مـــــا ذاك إلا بدعـــــا

ء المصطـفى خـيــر الـبـشــرْ

كــــمــــا دعــــا لأنس

فـنـــال بـالـيُـمـن الـوَطَـرْ

ولابـن عـــــوف الجـــوا

د فـــاجـــتلى بدر البــدرْ

طـوبى لـقــــوم أدركــــوا

أيامـــه الـبـيـض الغـــررْ

وقـال للنابغـة: لا يفـضض الله فـاك ، فـأدرك بدعـائه غايـة تعلو على الأفلاك، وعُمِّر وكان أحسن الناس ثغـرا ، كلما سقطت له سن أنبت الله له أخرى(٥) ، ودعا لابن عبـاس بالتفقه وتعلم التأويـل ، فكان بعد يسمى حَبْر

(٥) انظر : دلائل النبـوة لأبى نعيم (ص ٣٤٤) ، ودلائل النبوة للبيـهقى (٦ / ٢٣٢) .
ولا يفضض : أى لا يكسر أسنان فيك. والنابغة هو قيس بن عبد الله بن عُدس بن ربيعة الجعـدى العامـرى ، أبو ليلى ، صحـابى، شاعـر مفلق من المعـمرين ، كان ممـن هجر الأوثان، ونهى عن الخـمـر قبل ظهـور الإسـلام ، أدرك صـفين وشـهـدها مع على «الإصابة٥/ ٤٨٨» .

الأمة وترجمان التنزيل ، ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه ، فكان يربح فى جميع ما يشتريه بنفسه ونائبه وأمينه ، ودعا بالبركة للمقداد أيضاً ففاضت عليه عيون المال فيضاً [٦] ، ودعا بمثل ذلك لعروة بن الجعد ، فدار بنجوم ربحه الجزيل ذلك السعد[٧] ، وكُفى علىٌّ كرم الله وجهه الحرَّ والقرَّ بدعائه ، فكان يلبس فى الشتاء ثياب صيفه وفى الصيف ثياب شتائه[٨]، وأعطى الطفيل بن عمرو[٩] آية بدعوته عليه السلام ، وهى نورٌ يضيئ بطرف سوطه فى جنح الظلام [١٠] .

هذا ابن عباس به قد غدا
فى الفقه والتأويل نعم الإمام
وعروة بن الجعد من ربحه
فى المال قد فاز بأعلى السهام
والحَرُّ والقَرُّ علىٌّ رأى
حربهما سلماً عليه السلام

---

(٦) انظر الخصائص الكبرى (٢ / ٢٨٣) .

(٧) هو عروة بن الجعد البارقى وعزاه فى الخصائص الكبرى (٢ / ٢٨٨) إلى البيهقى وأبى نعيم فى دلائل النبوة .

(٨) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٤٨) ، والسيرة الشامية (١٠ / ٢٠١) .

(٩) هو الطفيل بن عمرو الدوسىّ يلقب ذا النور وقتل يوم اليمامة . وأصحاب النور : أسيد ابن حُضير ، وعباد بن بشر ، وحمزة بن عمر الأسلمى ، وقتادة بن النعمان .

(١٠) انظر الإصابة (٣ / ٥٢٢) .

وأيُّ خـــــيـــــر لـــم يكن أصـلـه

من أحـــمـــد بيت قــصــيــد الكرام

ودعا على مُضَرٍ فقحطوا ولم يصفُ لـهم عيش ، ثم دعا لهم فسُقُوا حين استعطفـته قريش ، ودعا على كسـرى بتمزيق ملكه فتـمزّق ، وتَشَتَّتَ شمل ذريته بل شمل الفـرس قاطبة وتفرق ، وقطع بعض الصبيـان عليه الصلاة ، فدعا عليه فقعد إلى أن أدركته الوفاة [١١] ، وقال لرجل: «كل بيمينك» قال: لا أستطيع ، فلم يرفعها إلى فيه إذ لم يكن لأمره مطيع[١٢] ، وأكل عُتْبَةَ بن أبى لهب أسدٌ سيق إليه ، حيث دعـا بتسليط كلب من كلاب الله عليه[١٣] ، وقابلته جماعة من قريش بإساءة الأدب ، فانقلبوا بعد القتل بدعائه إلى أسوأ منقلب، وكان الحكم بن أبى العـاص يغمز عنده ، ويخْتَلج[١٤] بوجهه حيث لم يبلغ رُشْده ، فدعا عليـه باستمراره على هيـئته ، فلم يزل يَخْتَلج إلى أن نزل بحفرته[١٥] ، ومـات ابن جَثَّامة بعـد سبع من دعـائه عليه ، فلمـا دُفِنَ لفظتـه الأرض مرات ولم تركن إليـه[١٦] ، وكم له من دعـاء مـتجـاب فى الاستسقاء وغيره ، ومن كرامة ظاهرة تدل على عظمته ونبوته وخيره .

---

(١١) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٢٢١) وعزاه لأحمد وأبى داود .

(١٢) انظر : صحيح مسلم (٣ / ١٥٩٩) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٢٣٨) ، وقيل : إن هذا الرجل هو بُسر بن راعى العير الأشجعى ، كذا ذكره ابن منده وابن ماكولا وآخرون.

(١٣) انظر الشفا (١/ ٣٢٩) ، والسيرة الشامية (١٠ / ٢٢٢) وكان عتبة يَسُبّ النبى ﷺ.

(١٤) يَخْتَلج : أى يُحاكى .

(١٥) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٢٣٩) ، والخصائص الكبرى (٢ / ١٣٢) ، وعزاه الحافظ الشامى فى سيرته إلى البلاذرى .

(١٦) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٢٢٢) .

إن الذى يـدعـــو لـه من لا يُردّ

دعـــاؤه لموفق وســـعـــيـــد

والويل لـلعـــاصى الذى يدعـــو

علـيـــه وإنه لمـشـــرد وطـريد

يا ســـيّد الكونـين يا من ظـله

كنـواله للـوافـــدين مـــديد

كم آيةٍ وكـــرامـــةٍ لك ذكـــرها

أبداً علـى مـرِّ الزمـــان جـــديد

منِّى إليك ســلام عـبـد مـــا له

إلا الصـلاة عليـك والتـوحـيـد



فصل
فى انقلاب الأعيان له وتأثير بركته ﷺ

ومن معجـزات رسول الله ﷺ أنه ركب لأبى طلحة فـرساً قَطُوفاً [1] غير لاحق، فرجع ببركـته بحراً لا تجرى مـعه السوابق[2] ، ونخس لجابرٍ جـملاً أفسد اللغوب[3] نظامه ، فنشط حتى كـان لا يقدر أن يملك زمامه[4] ، وبرَّك على فرس جُعَيل فـحسنت وصـفاً ، وباع من بطنهـا باثنى عشـر ألفاً [5] ، وركب لسعـد بن عبادة حـماراً به قطاف ، فـردَّه هُمْلاجاً [6] لا يسـايره ذو إكاف[7] ، وكانت فى قَلَنْسُوة خالد بن الوليد شعـرات من شعره ، فلم يشهد بها قتالاً إلا أيده الله تعالى فيه بنصره[8] ، وكانت المرضى تستشفى بغُسَالة ما يلبسه من الثياب ، وتُعافى بما يوضع فى الآنية المعدة له من الشراب، وسكب

---

(١) القَطُوف : البطىء السير .

(٢) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٩) ، دلائل النبـوة للبيـهقى (٦ / ١٥٣) ، وفتح البارى (٦ / ١٢٢).

(٣) اللغوب : السير .

(٤) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٨ ، ٣٢٩) ، دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٥٠)، ومسلم (٣ / ١٢٢٢) ، والبخارى (٤ / ٣٢٠) .

(٥) الشفـا (١ / ٣٣١) ، وطبقـات ابن سعـد (١ / ٢ / ٣٩) ، والطبـرانى فى الكبيـر (٣٧٦/١١) .

(٦) الهِمْلاج : البرْزَوْن الحسن المشى بسرعة (فارسى معرب) ويسمى الآن رَهَواناً .

(٧) الإكاف : بكسر الهمزة وضمها : البردعة ، أو ما يشد فوقها .

(٨) انظر: دلائل النبوة لأبـى نعيم (ص ٣٢٤) ، ودلائل النبـوة للبيـهقى (٦ / ٢٤٩) ، ومستدرك الحاكم (٣ / ٢٩٩) ، ومجمع الزوائد (٩ / ٣٤٩) .

من فضل وضوئه فى بئرٍ فلم يُتَحَدَّث بعد بالنزح عنها ، وبَصَقَ[9] فى بئر دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها[10] ، ومرَّ على ماء ملح فسماه طيباً فطاب[11] ، ومَجَّ[12] فى بئر زمزم وغيرها ففاح منها ريح الأتاب[13] ، وكان يتفل فى أفواه صبيان المراضع ، فيجزئهم ريقه إلى أن يجمعهم والليل جامع[15] .

رسولٌ كم حديث عنه يروى

جواهره شنوف[16] للمسامعْ

نمت بركاته وسما سناها

يشير بلامح فى الكون لامعْ

بها الحيوان أضحى ذا نشاطٍ

وزالت عن ذوى السقم الموانعْ

بها عذبت مياه كنَّ ملحاً

وصار لها شذى كالمسك ضائعْ

---

(٩) بَصَقَ - بالصاد والزاى أيضاً - أخرج ريقه ورمى به .

(١٠) عزاه فى السيرة الشامية (٩ / ٤٥٩) إلى أبى نعيم والبزار .

(١١) انظر السيرة الشامية (٩ / ٤٦٣) وعزاه إلى ابن السَّكَن .

(١٢) مجَّ ، أى صبَّ فيه ، ولا يكون مجًا حتى يباعد به .

(١٣) والحديث أخرجه أحمد ، والبيهقى ، وابن ماجة ، عن وائل بن حُجْر .

(١٤) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٢٢٦) ، وعزاه فى الإصابة (٤ / ٣٠٢) إلى أبى مسلم الكشى .

(١٥) شنوف : يقال : شَنَّفَ الآذان بكلامه : أمتعها به .

وحديث عكة أم مالك وأمره لها أن لا تعصر ، وما كانت تجد فيها من السَّمن حتى عصرتها لا ينكر[١٦] ، وغرس لسلمان عند مكاتبته ثلاثمائة وَدِّية[١٧]، فأطعمت من عامها ببركة يده النَّديَّة، وأعطاه ذهباً وزن منه لمواليه أربعين أوقية، على أنه كان مثل بيضة الدجاجة وبقيت منه بقية[١٨] ، وسقى رجلاً من سؤره الذى به الأرواح تنتعش ، فلم يزل يجد شبع شربته إذا جاع وريَّها إذا عطش[١٩] ، وأعطى قتادة عُرْجُوناً فى ليلة مظلمة ، فلم يبرح العُرْجُون يضىء له حتى أتى مخيمه[٢٠] ، وانكسر سيف عُكَّاشة يوم أحد فأعطاه جِذْل[٢١] حطب ، فعاد فى يده سيفاً صارماً يدنى من قاربه إلى العَطَب ، ثم لم يزل يشهد به المواقف ، وكان يعرف بالعَوْن بين تلك الطوائف[٢٢] ، وذهب سيف عبد الله بن جحش فدفع إليه عَسيباً[٢٣] ، وكان يوم أحد فرجع فى يده سيفاً خشيباً[٢٤] ، وبركته على الشياة الحوامل

---

(١٦) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٤٢٩) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١١٤) ، ومجمع الزوائد (٨ / ٣١١) ، والبداية والنهاية (٦ / ١٢٠) . والعُكَّة : إناء من جلد مختص بالسَّمن والعسل .

(١٧) الوَدِيَّة : فسيل النخل .

(١٨) انظر الشفا (١ / ٣٣٢) .

(١٩) العُرْجُون : أصل العِذْق الذى يعوجُّ وينعطف ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخلة يابساً .

(٢٠) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٤٣) وعزاه للطبرانى وأحمد والبزار وصححه .

(٢١) الجِذْلُ : أصل الشجرة تُقْطع .

(٢٢) انظر السيرة الشامية (٤ / ٨١) ، والبداية والنهاية (٣ / ٢٩١) ، وابن هشام (٢/ ٢٩٠) .

(٢٣) العَسيب : سَعَفُ النَّخل .

(٢٤) انظر : سبل الهدى والرشاد (٤ / ٨١ ، ١٠/ ٩) ، وعزاه إلى عبد الرزاق، والزبير ابن بكار فى الأخبار الموفقيات .

مأثورة، ودرورها باللبن الكثير فى صُحف المحدِّثين مسطورة ، كغنم حليمة السعدية ، وشاة أم معبد الخزاعية ، وأعنز معاوية بن ثور وشاتى أنس والمقداد ، وشاة عبد الله بن مسعود وغيرهم ممن لا يحصره التعداد .

لخير البرايا معدن الجود والندى
فضائل آيات وسلْ أمَّ مالكِ

وسلم على سلمان واقصد نخيله
تجد حسن آثار النبى المباركِ

وعُكَّاشة اسمع قوله وحديثه
عن الجِذْل بل عن مُرْهَف الحد فاتكِ

ولذ بجناب المصطفى وامش خلفه
تنل جنة محفوفة بالأرائكِ

وزوَّد أصحابه سقاءَ ماءٍ أوكأه ودعا فيه ، فلما حلّوه وجدوا لبناً طيباً ذا زبدة فى فيه[25] ، وبَرَّك على رأس عُمير بن سعد ، فمات ابن ثمانين ولم يشب من بعد[26] ، ومسح على بطن عتبة بن فرقد وظهره ، فكان يغلب طيبَ نسائه طيبُ نشره، وجُرح عائذ بن عمرو يوم حنين ، فَسَلَتَ[27] الدم عن وجهه فعاد ذا غرة كاللُّجين[28] ، ومسح رأس قيس بن زيد وأشار

---

(٢٥) طبقات ابن سعد (١ / ١ ١١٤) .

(٢٦) عزاه فى السيرة الشامية (١٠ / ٣٣) إلى الزبير بن بكار .

(٢٧) سَلَتَ : أى مَسَحَ .

(٢٨) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٢٤) وعزاه للحاكم وابن عساكر . وانظر مجمع الزوائد (٩ / ٤١٥) .

بالدعاء إليه ، فعمّر وابيض رأسه خلا ما مرت يده عليه[٢٩] ، ورمى يوم حنين فى وجوه الكفار قبضة من التراب، فانصرفوا مكسورين مأزورين منقطعة بهم الأسباب ، وكان جرير بن عبد الله لا يثبت على الأفراس ، فضرب فى صدره ودعا له فكان أفرس الناس ، وشكا أبو هريرة النسيان إليه، فأمره ببسط ثوبه وضمه بعد أن غرف فيه بيديه ، فما نسى شيئاً مما حفظه بعد ذلك[٣٠] ، وكم له من معجزة ليس له فيها من الأنبياء مشارك .

لله دَر نبى دُر منطقه
ألبابَ أهل الحجى والعلم تُسْتَلَبُ
والنشر من وصفه لا ينطوى أبدا
كلا ولا ينقضى من بحره العجبُ
به وجوه ذوى الإقبال ناضرةٌ
آضت وعادت له الأعيان تنقلبُ
وأبرأت كفه العاهات مسرعة
وكم له آية تملى وتكتتبُ
صلَّى عليه الذى أعلى مراتبه
ما هبت الريح فاهتزت لها القَضْبُ[٣١]

---

(٢٩) وكان يسمى الأغَرّ .

(٣٠) انظر البخارى (٩ / ١٣٣) ، ومسلم (فضائل الصحابة ١٥٩) ، وأحمد (٢ / ٣٧٤)، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٢٠١) .

(٣١) القَضْبُ : كل شجرة طالت وبسطت أغصانها .

فصــــل
فى إخباره بالكائنات والغيوب ﷺ

ومن معـجزات النبى ﷺ ما أطلعه الله عليـه من الغيوب ، وما عـرَّفه به سبحانه مما ذهـب ومما يئوب ، وما أخبر بوقوعه فـوقع ، وأنه سيكون فلاح ضوء صبحه ولمع[(١)] ، فمنه ما ذكر من الظهـور على أعدائه ، وإعلاء أعلام أنصاره وأوليائه ، والأمن الموجود بيمنه فى الرحلة والمقام ، وفتح مكة وخيبر واليمن والعراق والشام ، ودنو أمتـه من الدنيا وزهرتها ، وتقلبهم فى جزيل نضارتها ونضرتها ، وقسمتهـم كنوز كسرى وقيصر ، وأخذهم من الاختلاف بالمكيال الأوفر ، وافـتراقهم على ثلاث وسبـعين فرقة ، الناجيـة منها واحدة ليس بينها وبين الحق فرقة ، وأن أحدهم يغدو فى حُلَّة[(٢)] ويروح فى أخرى، وتوضع الصحاف[(٣)] بين يديه تنعما وفخراً ، وتكون لهم عدة أنماط[(٤)] رحبة ، ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة[(٥)] ، وأن ملكهم يبلغ ما زوى له من الغرب والشرق ، وأنه لا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق .

---

(١) قال القـاضى عياض فى الشـفا (١ / ٣٣٥) : الأحاديث فى هذا البـاب بحرٌ لا يُدرك قعره ، ولا ينزف غَمْرُهُ ، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع ، الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها .

(٢) الحُلَّة : ثوبان من جنس واحد .

(٣) الصِّحَاف : جمع صَحْفة : إناء كالقصعة .

(٤) أنماط : جمع نَمَطٍ ، وهو ضرب من البُسُط والفُرُش .

(٥) روى الطبرانى عن أبى جُحيـفة أن النبى ﷺ قال : « ستفـتح عليكم الدنيا حتى تُنَجِّدوا بيوتكم كما تُنَجَّد الكعبة » وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٤٦٦٧) .

نبيٌّ أمــــانةٍ ورســـــول صــدقٍ

جــــديرٌ بالـنبـــوة والرســــاله

إذا مـــا قـــال قـــولاً فـــانـتظره

فـسوف يكون حـتمـاً لا محـاله

إلـــــه الـعــــرش بـالأنوار مـنه

هدى من شـاء من ظلم الضـلالة

وعلـم أمَّـةً من بعــــد جــــهلٍ

به وعلـى الورى أعلى مـــقــاله

وما أشــار إليه من قتـال العرب والترك ، وزوال ملك فـارس والرُّوم بأمر مالك الملك[٦] ، وقبْض العلم وظهور الهَرْج والفتن ، وذهاب الأمثل فالأمثل وتقارب الزمن ، ومُلْك بنى أمية واتخـاذهم المال دولاً ، وخروج بنى العباس لا يبغون عن الملك حولاً ، وقتل علىّ بعـد قتل عثمان[٧] ، وخروج المهدى فى آخر الزمان ، وما ينال أهل بيته الأطهـار ، وما يلقونه من القتل والتشريد فى الأقطار ، وأن الزبير يحارب علياً ، وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا ، وينبح على بعض أزواجه كلاب الحَوْأب[٨] ، ويقتل حولها كثير وتنجو بعدما

---

(٦) عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا هلك كسـرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصـر فلا قيصـر بعده ، والذى نفسى بيده لتنفـقن كنوزهما فى سبيـل الله » [البخارى ٣٠٢٧ ، ومسلم ٤ / ٢٢٣٦ ، وشرح السنة للبغوى ٣٦٢٢] .

(٧) انظر الخصائص الكبرى (٢ / ٢٠٦ - ٢١١) .

(٨) الحَوْأب : منزل بين مكة والبصرة ، وهو الذى نزلته عـائشة رضى الله عنها لما جاءت إلى البصرة فى وقعة الجمل (النهاية ١ / ٤٥٦) . وأصل الحوأب : الوادى الواسع .

كادت تذهب[٩] ، وأن عمَّاراً تقتله الفئة الباغية[١٠] ، وأن الأمر فى قريش ما أقاموا للدين أعلاماً عالية ، وأنه سيكون فى ثقيفٍ كذابٌ ومُبير[١١] ، وأن مُسيلمة يعقره من هو على كل شىء قدير .

بعض الذى قاله خير الأنام جرى
والبعض يأتى كما قد نصَّ فى الخبرِ
أما الصحابُ وأهلُ البيت منه وما
قد نالهم فهو أمر غير مُسْتَترِ
وسوف يظهر تصديقاً له فتن
كقطع ليلٍ خلا من غُرَّة القمرِ

وما أخبر به من سحر لَبيد بن الأعصم حليف الشيطان ، وأنه فى جفٍّ طلع نخلةٍ ذكر ملقى فى بئر ذروان[١٢] ، وأكل الأرَضَة ما كتبته قريش فى الصحيفة ، وأنها أبقت فيها كل اسم لله تنزيها لأسمائه الشريفة[١٣] ، وأن

---

(٩) انظر : دلائل النبوة (٦ / ٤١٠) ، ومسند أحمد (٦ / ٥٢٥ ، ٩٧) ، والسيرة الشامية (١٠ / ١٥١) . .

(١٠) حديث مقتل عمار بن ياسر من الأحاديث المتواترة ، رواه من الصحابة بضعة عشر . وانظر الخصائص الكبرى (٢ / ٢٣٩) ، والسيرة الشامية (١٠ / ١٥١) .

(١١) المُبير : الذى يُهلك الناس، قال الإمام النووى فى شرح مسلم : اتفق العلماء على أن المراد بالكذاب المختار بن أبى عبيد ، والمبير الحجاج بن يوسف . وانظر الحديث فى مسلم (٤ / ١٩٧١) ، وشرح السنة (٣٦٢١) .

(١٢) بئر ذروان : بئر فى بنى زريق . انظر الحديث فى : فتح البارى (١١ / ١٩٢) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٢٤٧) .

(١٣) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٥٨) .

العرب سوف يرتدون[١٤] ، وأن الخلافة بعده ثلاثون ، وأن الأمر بدأ نبوة ثم تكون خلافة ورحمة ، ثم ملكاً عضوضاً ثم عتواً وفساداً فى الأمة ، وكثرة العجم فى أمته وضربهم رقاب الرجال ، وأن الكذابين ثلاثون آخرهم الدجال، وشأن الأمراء الذين يؤخرون الصلاة[١٥] ، والرجل الذى يخرج من قحطان يسوق الناس بعصاه ، وأمر أويس القرنى وما قال عنه[١٦] ، وأنه لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه ، ووقوع آخر هذه الأمة بسبب أولها فى الآثام ، وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام ، وخروج الخوارج وأن سيماهم التحليق[١٧] ، وظهور القدرية والرافضة[١٨] وعدولهم عن الطريق.

تبـاً لقوم رفضوا عُصبة
محمد شانئهم يرفضُ
عُصبة خير صحبوا المصطفى
والله قرضاً حسناً أقرضوا

---

(١٤) عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى يعبدوا الأوثان » رواه مسلم والترمذى .

(١٥) عن عبادة بن الصامت ، عن النبى ﷺ قال : « سيكون أمراء تشغلهم أشياء يؤخرون الصلاة عن وقتها فاجعلوا صلاتكم معهم تطوعاً » أخرجه ابن ماجة وله شواهد .

(١٦) أخرج مسلم ، عن عمر قال : إن رسول الله ﷺ حدثنا « أن رجلاً من أهل اليمن يقدم عليكم ولا يدع بها إلا غير أم له قد كان به بياض ، فدعا الله أن يذهبه عنه فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم يقال له أويس فمن لقيه منكم فليأمره فليستغفر له » ، وانظر السيرة الشامية (١٠ / ١٠٠) .

(١٧) انظر الخصائص الكبرى (٢ / ٢٥٠) .

(١٨) انظر الخصائص الكبرى (٢ / ٢٥١) .

وجـــه الذى يكـرههم أســـودٌ

ووجـــــــه كلٍّ مـنهـم أبيـضُ

طوبى لمـن كـان حـليــفـــاً لهم

وويل مــطرود لــهم يبـــــغضُ

وما حـدَّث به من أمر فـاطمة الزهراء نجله ، وأنهـا أول من يلحق به من أهله[19] ، وأن أرض الـطَّف[20] بها يقـتل الحسين ، وأن الله تعـالى يصلح بالحسن بين فئتين[21] ، وأن رعاء الغنم يُرون رؤسـاء عليهم التيـجان ، وأن الحفاة الرعاة يتطاولون فى البنيـان ، وولادة الإماء الربَّات ، وموت النجاشى يوم مات[22] ، وكتاب حاطب[23] وقصة عُمير مع صفوان[24] ، وما يكون

---

(١٩) انظر : مسند أحمد (٦ / ٢٨٢) ، وطبقات ابن سعد (٢ / ٢٤٧) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٣٦٤) .

(٢٠) انظر دلائل النبوة للبيهـقى (٦ / ٤٦٨) ، ومـسند أحـمد (٣ / ٢٤٢) ، والسـيرة الشامية (١٠ / ١٥٣) .

(٢١) انظر دلائل النبوة لأبـى نعيم (ص ٤٢٥) ، ودلائل النبـوة للبيـهقى (٦ / ٤٤٢) ، والبخارى (٣ / ٢٤٤) ، ومسند أحمد (٥ / ٤٩) ، والمستدرك (٣ / ١٧٥) .

(٢٢) أخرج الشيـخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجـاشى فى اليوم الذى مات فـيه . . » وعن جابر قال : قـال رسول الله ﷺ : « مات اليوم رجل صـالح فصلوا على أصحمه » .

(٢٣) قيل : كان فـيه أن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجـيش كالليل يسير كـالسيل وأقسم بالله لو سـار إليكم وحده لنصـره الله عليكم فـإنه منجز له مـا وعده (السـيرة الشـاميـة ١٠/ ٦٤).

(٢٤) حيث سارّهُ وشارطه على قتل النبى ﷺ ، فلما جاء عُمير إلى النبى ﷺ قاصداً قتله ، أطلعه رسول الله ﷺ على الأمر فأسلم .

بعد فـتح بيت المقدس من الموتان[٢٥] ، ومَنْ غلَّ الشَّمْلَة[٢٦] بتفريق شَمْلَه ، ومن أخـذ حرز يهـود فـوجدت فى رحـله ، وقتل أهل مـؤتة يوم قـتلوا ، ومصـارع أهل بدرٍ ومقابلتـهم بما فعلوا، وبناء مـدينة بين دجلة ودُجَيل يعنى بغداد[٢٧] ، وعدته من سكن الـبصرة ولم يخلف عليـه السلام الميـعاد ، إلى غيـر ذلك من الحوادث ونزولها ، وأشراط السـاعة وحلولها ، وذكـر البعث والنشر، وآيات الموقف والحـشر ، وأحوال الأبرار والفجار ، وأهوال القـيامة ووصف الجنة والنار ، والجُمل يستغنى بها عن التفصيل ، والأقلام لا تحصر ما له ﷺ من التفضيل .

نبىٌّ عـظيم القـــدر نَوَّرَ قلبـــه
وعَلَّمَه من يعلم الـسِّر والنَّجـوى

وعـرَّفـه بـالكائنات وغـيــبـهـا
فأصـبح منشوراً له كـل ما يُطوى

أيا حـــبـــذا منه إمـــامٌ وقـــدوة
شـرائع دين الله مـن لفظه تُروى

---

(٢٥) المُوتان : الموت الكثير . وضم الميم لغة تميم وفتحها لغة غيرها .

(٢٦) الشَّمْلة : كساء صغير يؤتزر به ، واسم هذا الرجل : كِرِكِرَة .

(٢٧) عن حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستبنى مدائن بين نهرين من المشرق يحشـر إليها خـزائن الأرض وكنوزها يسكنها شرار الخلق يخسـف الله بها بعد مـا يعذب بالسيف » أخرجـه أبو نعيم ، ودُجَيل : نهر بالأهواز حفـره أزدشير بن بابك أول ملوك ساسان .

له روضــةٌ تــهــتــز بالــند والندى

سحــائبهــا تنهلُّ بالجــود والجدوى

تحف ضريــحاً ضم هدياً ورحــمة

وحاز العُلا والعلم والبــر والتقوى

عليــه سلامٌ لم يزل غــصن دَوْحه

رطيباً سريع الميل ينمى ولا يذوى



فصـــل

فى عصمته من الناس ﷺ

ومن معجزات النبى ﷺ أنه جلس فى بعض منازله تحت شجرة ، فاخترط[1] أعرابى سيفه عليه يريد ما عظم الله خطره ، فأرعدت يده وسقط منها السيف ، وضرب الشجرة برأسه كمن ألمَّ به من الشيطان طيف ، فعفا عنه وأقامه بعد الإبلاس ، فرجع إلى قومه قائلاً : جئتكم من عند خير الناس[2]، وانفرد يوم بدرٍ بقضاء الحاجة من أصحابه ، فتبعه رجلٌ من المنافقين مُصْلتاً سيفه من قرابه ، فعصمه الله من شرِّه ، وردّ كيده فى نحره ، وقصده دُعْثور بن الحارث ، وفى يده عَضْبٌ مُرْهَف[3] الحد فارث ، وذلك فى غزوة غطفان، فوقع لظهره ثم هدى بعدها للإيمان[4] ، وكانت حمَّالة الحطب تضع على طريقه العِضاة[5] وهو جمر ، فكأنما يطأه كثيباً مهيلاً[6] بقدرة صاحب الأمر ، وتواعده المشركون مرات عديدة ، وأتوا للفتك به بكل حيلة ومكيدة ، فمنهم من هرب وفر ، ومنهم من مرَّ عيشه بعد أن مر ، ومنهم من وقع مغشياً عليه، ومنهم من ضرب الله على عينيه ، ومنهم من

(١) اخترط السيف : استلَّه .

(٢) ذكر البيهقى أن ذلك كان فى غزوة ذات الرقاع .

(٣) القضْب : السيف القاطع . والمُرْهَف : القاطع .

(٤) انظر سبل الهدى والرشاد (٤ / ٢٦١) ، والواقدى (١ / ١٩٣) ، وابن هشام (٣/ ٤٩) .

(٥) العِضاة : كل شجر يعظم وله شوك .

(٦) مهيلاً : أى مصبوباً سائلاً ، يقال أهيل الرمل وانهال إذا سال .

أصابته زلَّخَةٌ[7] وسقط بين يديه ، ومنهم من صدَّته الملائكة فلم يصل إليه .

راموه بالسوء والجبَّارُ يحفظهُ

من كلِّ ذى حسدٍ للشرِّ منتصبِ

وأقبلوا نحوه للكيد فانقلبوا

بجهلهم وعماهم أىَّ منقلبِ

لما مشوْا فى ظلام الظُّلم أورثهم

خَبْطاً وخطباً بهم أدَّى إلى العطبِ

تبَّاً يلاقيهم لقيا أبو لهبٍ

وبئس ما صنعت حمَّالة الحطبِ

واجتمعت قريشٌ على قتله وبيَّتوه لعكوسهم ، فخرج عليهم من بيته وذرَّ التراب على رؤوسهم ، وخلص منهم وهم له ينظرون ، ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُم لا يَعْقِلُون** ﴾[8] ، واتبعه سُرَاقةُ حين الهجرة اتِّباع قاتل ، وقد جعلت قريشٌ فيه وفى أبى بكر الجعائل ، فلما قرب منهما دعا عليه سيد الثقلين ، فخرَّ عن فرسه بعد أن ساخت[9] قوائمها مرتين ، فناداه بالأمان ، فأمَّنه وقابله بالإحسان ، وعرف بعض الرعاة حقيقة خبرهما ، فخرج يَشْتدَّ ليُعْلِم قريشاً بأمرهما ، فلما ورد مكة ضُرِبَ على جنانه ، وأُنْسِىَ ما خرج له حتى رجع إلى مكانه ، وجاءه أبو جهل بصخرة ليطرحها عليه ، وكان إذ ذاك

---

(٧) الزلَّخَة : وجع يأخذ فى الظهر لا يتحرك الإنسان من شدته .

(٨) سورة البقرة : ١٨ .

(٩) ساخت : غاصت فى الأرض .

ساجداً وقريشٌ تنظر إليه ، فيبست يداه إلى عنقه ولم ينفعه هُبَل ، ثم سأله أن يُطْلِقَ يديه بدعائه ففعل[١٠] ، وأتاه مرة أخرى وهو يصلى صلى الله وسلم عليه ، فلما قرب منه ولى ناكصاً على عـقبيه ، وأشرف على خندق نارٍ كاد يهوى فيه ، وأبصر من الهول العظيم ما يحزنه ويخزيه[١١] .

تدانتْ منه واجـتـمـعتْ قـريشٌ

علـيــه وبيَّتـــوه للعـكوسِ

فـلـم يَحْصـل لـهـم ممـا أرادوا

سـوى ذَرِّ التــراب على الرؤوسِ

وأمــرُ سُرَاقــةٍ إذ خــرَّ مـلقىً

وراعى الشاةِ دُوِّن فى الطُروسِ[١٢]

ويَبَسْ يَدَىْ أبى جـهل شـــهـيـر

وكم آيٍ لأحـمـدَ كـالشـمـوسِ

وجاءه عازمـاً على قتله رجل من بنى المغيـرة ، فطمس الله بصره على أنه كان أعمـى البصيرة ، وأدركـه يوم حنين رجلٌ من خلفه ، ورفع سيفـه عليه عازماً على حتفه ، فلمـا دنا ارتفع إليه شُواظٌ من نار ، فولَّى ثم أقبل فأسلم وقاتل فى صف الأبرار[١٣] ، وخبرُ عامر بن الطفيل حين قصد قتله مذكور ،

---

(١٠) ذُكِر أن فى هذه القصـة نزل قوله تعالى : ﴿ إنا جعلنا فى أعناقـهم أغلالاً ﴾ ، وانظر السيرة الشامية (١٠ / ٢٥٥) .

(١١) ذُكرَ أن فى هذه القصة نزل قوله تعالى : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ﴾ إلى آخر السورة .

(١٢) الطُرُوس : جمع طُرْس : الصحيفة .

(١٣) يروى أن هذا الرجل هو شيبة بن عثمان الحَجَبىّ .

وما اتفق عليــه مع أربد بن قيس[١٤] من الكيد المردود عليهمـا مشهور[١٥] ، وكثير من اليهود والكهـان ، انذروا به وعينوه لأصحاب الأوثان ، وأخبروهم بنبئه وحضّوهم على قتله ، فعصمه الله تعالى منهم بنصره وفضله ، وحرسه بعينه الـتى لا تنام ، وكلأه بعنايتـه في الرحلة والمقام ، وجعل فـى أعناقهم أغـلالاً ، وألبســهم من العكس والطرد سـربالاً ، وكفّ أيديهم عنه إذ همّوا ببسطهـا ، وقابل عزائمهم السـيئة بطى نشرها وحل ربطهـا ، ورد كلاً منهم خاسئاً وأطال بعده ، وحمى رسوله ﷺ وكفاه ﴿**أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَه**﴾[١٦] .

سبحان من عصم الرسول من الأذى

وله أذلَّ عــصــابـةَ الأوثانِ

وحــمى حِمَاهُ وعنـه كفَّ أكُفَّهم

ورمــاهمُ فـى هُوَّةِ الخُسْرانِ

وأعـزَّه وكـفـاه مـا يخـشـاه من

شــرِّ اليــهـود الـبُهْت والكُهَّانِ

وأقـــام دولتــه وأعلى ديـنه

فـضـلاً وإحــسـاناً على الأديانِ

صلّى عليـه الله رب العـرش مـا

عطف النسيـم معاطف الأغـصانِ

---

(١٤) هو أخو لبيد بن ربيـعة لأمه ، بعث الله عليه صاعقـة فأحرقته كافراً ، ولبـيد صحابى جليل .

(١٥) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٢٦٠) وعزاه للطبرانى وابن المنذر وابن جرير .

(١٦) سورة الزمر : ٣٦ .

فصـــــل

فيما جمع له من المعارف والعلوم ﷺ

ومن معجـزات النبى ﷺ ما جمعه الله له مـن المعارف الوافرة ، والعلوم التى لم تزل عن وجوه الهداية سافـرة ، وما خصَّه به من ورود عين اليقين ، والاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ، وعـرَّفه من قوانين شريـعته ، وحفظ أسـرار وديعته ، وسـياسة عـباده ، ورعاية سـاكنى بلاده ، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة ، وما كـان فى الأمم قبل بعثته الزاهرة ، وأحاديث القرون الماضيـة ، وإظهار شرائعهم النائية ، ووعى سيـرهم وسرد أنبائهم ، وأيام الله فـيهم واختـلاف آرائهـم ، والمعرفـة بمُدَدِهم وأعمـارهم ، وحِكَم حكمائهم وأخبـار أحْبَارهم ، ومحاجَّة كل أمة من الكفرة ، ومـعارضة أهل الكتابين بما فى كـتبهم المسَطَّرة ، وإعلامهم بمخبآتها وأسـرارها ، والمكتوم والمغيَّر والمبدل من أسفارها ، وما أحـاط به من لغة العرب وغريب ألفاظها ، وضروب فصاحة خطبائها وبلاغة وعَّاظها ، وما خُصَّ به من جوامع كلمها ، وحفظ أيامهـا وأمثالها وحِكَمـها ، ومعرفـة معانى أشعارها ، وبـيان مشكل نظامها ونثارها .

وبـنـاء أركـــــــان العـلـوم
ورفـع ذكـــــــــر مَنَـارهـا

وشـــفــاء صـــدر مـريـدها
الـظامـى إلـى أنـهــــــارهـا

وبلوغ ما يُدْنى إلى

استخراج دُرّ بحارها

وسلوك أوضح طرقها

فى النور من أقمارها

وتفهيم الغامض الذى لا يظهر ، وتمهيد قواعد الشرع المطهَّر ، المشتمل على محاسن الأخلاق ، ونفائس الأعلاق ، ومحامد الآداب ، وطرائف طرائق الصواب ، وتسكين حركة العابث والعايث[1] ، وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث ، وصون الأعراض والأموال بالحدود ، وحماية الأنفس بالوعيد لا بالوعود ، وما علمه مما كان ويكون ، وما حواه من سائر الفنون، كالفرائض والحساب ، والتعبير والأنساب ، والطب المحقق شفاؤه ، والعلاج المجَرَّب دواؤه ، كقوله ﷺ فى حديثه المعروف عن أصحاب الأثر : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأول رجل ذكر »[2] ، وقوله ﷺ صلاة متصلة بيوم العرض: «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض»[3]، وقوله صلَّى الله وسلم عليه رب العزة والسلطان : « الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان »[4] ، وقوله فى خبرٍ رواه من شنَّف به مسمعه : « إن سبأ رجلٌ ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة »[5] ،

---

(١) العايث : المفسد .

(٢)عزاه السيوطى فى الجامع من الصغير (١٥٧٤) للشيخين وأحمد والترمذى .

(٣)جزء من حديث رواه مسلم وابن ماجة (٣٠٧٤) .

(٤) عزاه السيوطى فى الجامع الصغير (٤٤٩٤) لمسلم .

(٥) جزء من حديث أخرجه أحمد ، والترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه ، وعبد بن حميد، وابن المنذر (الدر المنثور ٥/ ٤٣٤) .

وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام فى «الحبة السوداء شفاء من كلِّ داء إلا السام »[٦] .

لله مـا أفضله مرسلاً

حاز علوماً حصرها لا ينالْ

بحرٌ شُراع الشَّرع أضحى به

مرتفعاً يعلو رؤوس الجبالْ

لولاه ما وافى محيا الهدى

مبتسم الثغر وزال الضلالْ

طالبُ حصر الوصف منه اتئد

من ذا الذى يُحْصِى الحصى والرمالْ

إلى غير ذلك من لغات الأمم ، وتصوير حروف الخط بالقلم ، وما لا يعلم بعضه ، ولا يدرى إبرامه ونقضه ، إلا من لازم الدروس واقتفى سبلها، وعكف على مطالعة الكتب وجالس أهلها ، وما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه فيه قدوة ، وجعلوه أصلاً فى علومهم لفرعوا عليه ويحذوا حذوه ، على أنه كان أُمِّياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولا عُرِف بصحبة من يعلم الكتابة و يحسب ، ولا نشأ بين قوم لهم مدارسة ، ولا قراءة لشىء من هذه الأمور ولا ممارسة ، ولا اختلف إلى حَبْر من الأحبَار ، ولا اجتمع بمنجَّم ولا كاهن ولا صاحب أخبار ،إنما كانت غاية معارف العرب الشعرَ والبيان ،

(٦) عزاه السيوطى فى الجامع الصغير (٣٧٨٠) إلى أبى نعيم فى الطب وصححه . وعزاه الهيثمى إلى الطبرانى وقال : رجاله ثقات .

وأخبارَ من سلف من أوائلهـا وبان ، وذلك نقطة من بحر علمه ، وقطرةٌ من غيث حِكَمِـه وحُكْمه ، وبالجمـلة فقد كـانوا يسألونه عمـا اضطروا من ذلك إليه، وعما اختلفوا فيه صلَّى الله عليه .

إن المعـــارف عَرْفُهـــا من زهره
وتمـوُّ أفْنَـــان الـفـنــون بـقَطْرِه
ومعــالم العلم الشريف بـه سمت
وطريقـها وضـحت بطالع فجـره
كم حكمة ظهرت مـعانى حُكمها
بين الـبـــرايا درُّهـا من بحـــره
صلَّى عـليــــه وزاده من فَضْلِه
من خـصَّه شـرفاً بغـامض سـرِّه



فصـــل
فى خبره مع الملائكة والجن ﷺ

ومن معجـزات رسول الله ﷺ إمداد الله له بملائكته ، وإدخـال طائفة من الجن فى طاعتـه ، وصرفهم إليه لاستماع القرآن ، ورؤية عدة مـن أصحابه لهم فى كثير من الأحيـان ، وخبر مـحادثته مع الملائكة فـى العالم العلوى مأثور ، وما شـاهده من كثرتهم وعِظَم صورهم ليلة الإسراء مـشهور ؛ رأى جبـريل فى صورته له ستمـائة جناح ، وتكلم مع إسرافيل وغـيره فى مكان تصعد إلـيه الأرواح ، وعاينهم جماعـة من أصحابه فى مواطن بـحضرته ، ورأى ابن عباسٍ وغيرهُ جـبريل فى صورة دحية[1] وهيئتـه ، ورؤى الناموس الأعظم[2] فى مـجلسـه العلـىّ الأركان، وهـو فى صـورة رجل يسـأله عن الإسلام والإيمان ، وجلس على يمينه المعروفـة باليُمْن جبرائيل ، وعلى يساره المشهورة بـاليُسْر ميكائيل ، وكانا فى صورة رجلين بيض الأثـواب ، فرآهما سعدٌ وغيرُ واحدٍ من الأصحاب .

مـلائكة الرحـمـٰن تـطرُق بابه
ونحـوَ حِمـاهُ لـم تزلْ تتـرددُ

لتـأيـيـد جـيش أو أداء رسـالةٍ
وكم قد أتت معنـى الزيارة تقصدُ

---

(١) هو دحية بن خليفة بن مروة الكلبى ، وكـان من أجمل الناس ، وكان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ على صورته (الإصابة ٢ / ٢٨٤) .

(٢) أى جبريل عليه السلام .

وأمرُ سماع الجنِّ للذكْر عندهُ
وإيمانهم طوعاً به ليس يُجْحَدُ
كرامات ذى فضلٍ علىٍّ محلُّه
له كرمٌ كالغيث لا يتعددُ

وأخبر بعض من شهد يوم بدر ، أنه سمع أصوات الملائكة على خيلها بالحث والزجر ، ورأى تطاير الرؤوس من الكفار ، ولم يُشَاهِد ضارباً بعَضْبٍ[٣] ولا بتَّار ، ورأى بعضهم رجالاً بيضاً بُلقَ الأفراس[٤] ، يجولون بين السماء والأرض على رؤوس الناس ، وحين رأى حمزةُ جبريلَ فى الكعبة خرَّ مغشياً عليه ، وكانت الملائكة تصافح ابن الحُصَين ببركة مَنْ صَحِبَهُ وانتمى إليه ، ولما قُتِل يوم أحد مُصْعَبٌ بن عُمَير ، أخذ الراية ملك على صورته مساعدة لأهل الخير ، وأما ابن مسعود أتحفه الله بالكرامة ، فإنه ليلة الجن رأى مَنْ حضر منهم وسمع كلامه ، وأقبل شيخٌ بيده عصا فى بعض الأيام ، فسلَّم على رسول الله ﷺ فردَّ عليه السلام ، ثم ذكر اسمه ونسبته إلى إبليس اللعين ، وأخبره أنه لقى نوحاً ومن بعده من النبيين إلى ذلك الحين ، قال عمر بن الخطاب ، وعلَّمه سوراً من الكتاب ، وتفلَّت شيطانٌ ليقطع صلاته فى تهجده ، فأخذه وأراد ربطه فى بعض سوارى مسجده ، ثم أطلقه لدعوة أخيه سليمان ، وردَّه الله خاسئاً بالخزى والخذلان[٥] .

(٣) العَضْب : السيف القاطع .

(٤) بُلق الأفراس : الأبلق : هو الذى فى لونه سواد وبياض .

(٥) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٢٦٣) وعزاه إلى أحمد فى مسنده. ودعوة نبى الله سليمان عليه السلام هى : ﴿ ربِّ هَبْ لى مُلْكاً لا يَنْبَغى لأحدٍ مِنْ بَعْدى ﴾ .

رســـــــولٌ حـــــازَ آيـاتٍ

وغـــــاياتٍ مـن الـسَّـبْقِ

أمـينٌ جـــــــاء بـالإيمان

والإحـــــــسان والصِّـدْقِ

جـــمـيلُ الخَلْق والأخْـلاق

جـــمّ الـــرِّفْدِ والـــرِّفْقِ

أفـــاد الجـن والإنـســـان

عــلمــــاً بـاسِمَ الـبـــرْقِ

به أضـــحـت منيـــرات

نـواحى الـغـــرب والـشَّرْقِ

ولما هدم خـالدٌ مكان العُزَّى وحطَّم جـدرانه ، خرجـت له سوداء ناشـرة شعرها عريانة ، فجزلها بمهنَّده[٦] ، واستمر على مـا هو بصدده ، وكرامات أصحابه من بعض مـعجزاته ، عليه أفضل صلوات الله وتحيـاته ، فهذه نبذة من معجزاته الواضحة ، وفلذة من أنـوار آياته اللائحة ، وبضعة من علامات نبوته الهادية ، وقـطعة من سحائب كرامـاته الرائحة والغادية ، مقـتصراً من جزلهـا على اليسيـر ، ومقـتنعاً من طويلها بقلـيل من كثيـر ، إذ لو حصل الاسـتقـصاء لكانت ديواناً ، بل دواويـن تطير أوراقـها إلى طالبـها زرافـات

(٦) المُهَنَّد : السيف . وانظر الخبر فى السيرة الشامية (٦/ ٢٠٠) ، ومثير الغرام الساكن (ص٢٤٠) بتحقيقنا ، وطبقات ابن سعد (٣ / ١٩٥) .

ووحداناً ، وبالجملة فالأدلة على فضله لا تعد ولا تحـصر ، واختصار القول فى أهل الشرف والطَّول أولى وأجدر .

نَعَمْ نِعَمُ المُقَفَّى ليس تحـــصى
وتلخـــيص المقـالةِ فـيــه أجـدرْ

لإن الأفق مـهــمـا قلت فــيــه
من الزهر الـدرارى فـهى أكـــثـرْ

وفـضل البحـر لم يدركـه وصفٌ
وعــدُّ المـوج منه ليس يُحـــصـرْ

أيا لله من ذى مـــعـــجـــزاتٍ
لهـــا نورٌ لعين الشـــمس يُبـــهِرْ

عظيم الخلق مـعـروف السـجـايا
إلهُ الـعـــرش قـــدَّســــه وطهَّرْ

ســـلام الله لا يـنفك يهـــفـــو
له مــــا هلَّل الداعـى وكـــبَّرْ



فصـــل
فى وجوب الإيمان به وطاعته واتباع سنته ﷺ

الإيمان بالنبى ﷺ واجب ، وشهـاب التصديق برسـالته فى سمـاء الهداية ثاقب ، وهو أمرٌ متـعين لا يصح إلا مـعـه الإسلام ، وكل إيمان خـلا عن الإيمان به فهو غـير تام ، والإيمان به هو الشهادة له بالرسـالة ، وتصديقه فى جميع ما جاء به وما قاله ، فـمن آمن به عصم دمه وماله ، وأحرز ما يصلح عاقبتـه ومآله ، والإيمان محتاج إلى العَقْد بالجَنَان ، كمـا أن الإسلام مضطر إلى النطق باللسـان ، فإذا اجتـمع التصـديق بالقلب والنطق بالمَزْرَد[1] ، تمَّ الإيمان وفاز صاحبـه بالجد الأسعد ، وطاعته أيضاً واجـبة ؛ لأنها لطاعة الله مصاحبة، فمن أطاعه هدى إلى سـواء الطريق ، ومن مدَّ باعه إلى أفقه ظفر بالتـوفيق ، ومن امتـثل أمره رَفَلَ فى أثواب الثـواب ، ومن خالفـه سلك به عِقَاب العُقَاب[2] ، وطاعتـه هى الالتزام بسنتـه ، والتسليم لمـا جاء به ورفع كلمته، فاتبعوه وأطيعـوه ، وانقلوا خبر أمره وأذيعوه ، وإذا نهاكم عن شىء فانبذوه ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه** ﴾[3] .

خـــذوا مـــا آتـاكم به المصـطفى
وأقـــواله صـــدِّقـــوا تَغْنَمـــوا

---

(1) المَزْرَد : الحلق واللسان .

(2) العِقَاب : جمع عَقَبَة : المرقى الصعـب من الجبال . والعُقَاب : طائر من كواسـير الطير حادّ البصر .

(3) سورة الحشر : ٧ .

وما جاء من عند رب العلى
إليكم به سَلِّموا تَسْلَموا

ووالوه وامتثلوا أوامره
وطُرُقَ هداه الزموا تُكْرَموا

وسنَّته تابعوا واسمحوا
ببذل الندى وارحموا تُرْحَموا

ولا تعوِّجوا عن مناهج الحق وسبله ، وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واجتهدوا فى تصميم الاعتقاد وحضور الجَنَان ، واجمعوا بين التصديق بالقلب والشهادة باللسان ، فالشهادة باللسان دون التصديق بالقلب نفاق ، ومن نطق بها وهو غير معتقدها ما له فى الآخرة من خَلاَق ﴿ **وأَطيعُوا اللهَ والرَسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾(٤) ﴿ **ولا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالبَاطِلِ وتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون** ﴾(٥) ، ويجب اتباعه وامتثال سنته السنية ، واقتفاء طريق هديه وسيرته فى حربه وسلمه ، والأخذ بقوله والرضا بحكمه ، فخير الهدى هداه، ومن اتبعه أحبه الله ، فعليكم بإحياء سنته ، لتُعَدوا من صالحى أمته، أفلح من عضَّ عليها بالنواجذ ، وفاز من رؤى وهو بجانبها لائذ ، من انتصر بها فهو منصور ، ومن اقتدى بها وُفِّق فى سائر الأمور .

ومن إليها جاء يرجوا الهدى
ألقت إليه حِبرَات الحُبور

(٤) سورة آل عمران : ١٣٢ .

(٥) سورة البقرة : ٤٢ .

ومن أتى يطـوى الفَـلاَ[٦] نحوها

فـــاز بنشـــر الخلد يوم النُّشـــور

ومن اعتصم بها نجا من النار، ومن حفظ برَّ برها حُشِر مع الأبرار ، ومن رضى بقول صاحبـها رضى بالقرآن المجيد ، ومن تمسك بهـا عند فساد الأمة فله أجر مائة شهيد[٧] ، ومن رغب عنها فليس من سيـد البشر ، ومن آثرها على نفسه نال غاية الأمل ونهـاية الوَطَر ، ومن خالفـها واتبع غـير سـبيل المؤمنين ، ولاَّه الله ما تولى وأصـلاه مثوى الـكافرين ، فتلقَوْا مـا صدر عن صـدرِ المصطفـى بالقـبـول، ﴿وَإِنْ تَنَازعْتُمْ فِى شَىء فَرُدُّوهُ إِلَى الله والرَّسُول﴾[٨]، ولا زموا طريقته واتَّبعوا سنته، ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَة ﴾[٩] ولا يغرنكم بالله الغرور ، وإياكم ومـحدثات الأمور ، فإن كل مُحدثةٍ بدعـة وكل بدعة ضلاله ، وأيقظوا قلوبكم بمعـرفة السُّنَّة من سِنَة الجهالـة ، ولا تتعرضوا إلى مـخالفته والاعـتراض على طريقه المستـقيم ، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَـالِفُونَ عَن أَمْرِهِ أَنْ تُصِـيبَهُم فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٠] .

لا يكملُ الإيمان فـى قلب امـرئ

إلا بتـــصـــديقِ النبِّى المـرسلِ

---

(٦) الفَلاَ : جمع فَلاَة وهى الأرض الواسعة المقفرة .

(٧) عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « المتمسك بسنتى عند فساد أمتى له أجر مائة شهيد » رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٨) سورة النساء : ٥٩ .

(٩) سورة الأحزاب : ٢١ .

(١٠) سورة النور : ٦٣ .

ذاك الذى فى الخَلْقِ طاعـــةُ أمـره

وجـبت بإخـبـارِ الـكتـاب المنزلِ

يا فـوز نـاج نور سنتـه اقـتـفى

وبه اقـتـدى فى كل أمـر مـشكلِ

صلَّى عليه الله مـا أحيا الحَيَـا(١٠)

مَيْت النبـات بعـارضٍ(١١) متـهللِ



(١١) الحَيا : المطر .

(١٢) العَارِض : السحاب المطل .

فصـــــل
فى لـزوم محبتــه ﷺ

مـحبـة رسول الله ﷺ لازمـة ، والآية الكريمة بوجـوبهـا وعظم خطرها جازمة[1]، ولن يؤمن أحـدٌ حـتى يكونَ أحبَ إليـه من نفســه ، ومن ولده ووالده وسائر أبناء جنسه[2] ، ومن أحبـه وجد حـلاوة الإيمان ، ودخل فى زمرته إلى مـحل الروح والريحان ، وفاز بمرافقـة الذين أنعم عليهم الرب ، وكان معه يوم القيامـة لأن المرء مع من أحب ، ولقد كان أصحابه رضى الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنة الخلد مسكنهم ومثواهم ، يحبونه أشدَّ المحبة ، ويختارون لقاءه وقربه ، ويعظِّمـونه أتم التعظيم ، ويكثرون من الصلاة عليه والتسليم ؛ أما أبو بكر فمحبته مـشهورة ، وهجرته إلى الله ورسوله معروفة مذكورة ، وحَلَفَ عمرٌ له صلى الله عليـه ، أنه أحبٌّ إليه من نفسه التى بين جنبيه ، وعن على: كـان والله أحبَّ إلينا من الأموال والأولاد ، ومن الآباء والأمهات والماء البـارد على ظمأ الأكباد ، وقال عمرو بـن العاص : ما كان أحد أحبَّ إلىَّ من النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان خالد بن معدان يتمنى لقاءه كـثيراً وبشوقه إلـيه يتكلم ، وقيل لابن عمـر: اذكر أحبَّ الناس إليك فصاح يا محمداه ، ولما احتضر بلال ذكر لقاءه ورؤية صحبه فقال: واطرباه،

---

(١) وشـاهد هذا قوله تعـالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبـعونى يحببكم الله ويغـفر لكم ذنوبكم** ﴾ [آل عمران : ٣١] .

(٢) قال رسـول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكـون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » رواه الشيخان .

ومنهم من فارق ماله ودياره فى موالاته ، ومنهم من قتل صاحبه وقاتل أباه وابنه طالباً لمرضاته .

كيف لا يفعل الصحاب الكرام
ذاك مع خير من أظلَّ الغَمَامُ
كيف لا يمنحونه الودّ صرفاً
وهو بدرٌ به استنار الظَّلامُ
صانهم زانهم هداهم حماهم
وبه نحوهم تدانى المرامُ
حبَّذا مرسلٌ عطوفٌ رءوفٌ
كاشف كربةَ الهمومِ هُمَامُ
لمحبيه فى الوجود مقالٌ
ولهم فى جنان عدنٍ مَقَامُ
إنَّ من فى ولائه يتغالى
لسعيدٌ موفقٌ والسَّلامُ

ومن علامات محبته توقيره وتعظيم قدره ، وإظهار الخضوع والخشوع عند سماع ذكره ، والشفقة على أمته وبر صالحهم ، والنصح لهم والسعى فى مصالحهم ، فطوبى لمن عُدَّ من جملة محبيه ، وامتثل أوامره واجتنب سائر نواهيه، وبذل الجهد فى مؤازرته ونصره ، وتأدب بآدابه فى عسره ويسره ، وآثر ما شرعه على هواه ، وأسخط العباد فى رضى الله ورضاه ، وثابر على

العمل بسنته ، ووافق ما حَضّ عليه مخالفاً لشهوته ، وتفقه فى دينه وشريعته ، وتخلق بخلقه وتطبَّع بطبيعته ، وأحبَّ من أحبه ، وعظَّم آل بيته وصَحْبَه ، وجانب كل أمر يخالف شرعه ، وأعرض عمن تعرض لمحدثة فيه أو بدعة ، ونهض للوقوف عند حدوده ، ورفض أقوال شانئه وحسُوده ، وبذل النفس والمال دونه ، ومال إلى الذين يحبهم ويحبونه ، فأى كرم أجزل من كرمه ، وأى نعم أكمل من نعمه ، وأى أفضال أعم من أفضاله ، وأى نوال أتم من نواله ، وقد جاء بالرأفة والرحمة ، وعلم الكتاب والحكمة ، وبشَّر وأنذر ، ونهى عن التعسير ويسَّر ، وبالغ فى النصيحة ، وسلك المحجة الصحيحة ، واجتهد على الهداية ، وأنقذ من العَمَاية ، ودعا إلى الفلاح ، وبيَّن سبيل النجاح ، وأوجب البقاء الدائم والنعيم السرمد ، صلَّى الله عليه صلاة متصلة لا تنقطع ولا تنفد .

يا صاحب العز والقبول ومَنْ

حيَّر أهل العقول معجزهُ

يا مَنْ له مجلسٌ حوى شرفاً

بالقطر من سحبه يطرزهُ

ويظهرُ العلمُ فى جوانبه

والدرُّ من فيض فيه يبرزهُ

حبُّك يا أشرف الخلائق فى

قلوب أهل الرشاد مركزهُ

أنت الذى تبطـل الوعـيـد كـمـا

وعـــد المـرجَّى بذاك ينـجـــزهُ

صلَّى علـيك الإله مـــا خطرت

ريح بغـــصن النقـــا تـهــزهزهُ



فصـــل
فى تعظيمه وتوقيره ﷺ

أوجب الله تعالى تعظيمه وتوقيره ، وفرض إعانته ونصره وإجلاله وتعزيره، ونهى المؤمنين عن التقدم بالقول بين يديه ، وعن سبقه بالكلام وإساءة الأدب عليه ، وأمرهم أن يستمعوا لما يخرج من فيه ، ولا يتعجلوا بقضاء أمر قبل قضائه فيه ، ولا يقتدوا إلا بأمره ، وحذَّرهم مخالفته فى قُلّ الأمر وكُثره ، وأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته ، وأن يحترموه ويعظموه فى حياته وموته ، ولا يدعوه كدعاء بعضهم بعضاً ، ويتركوا من لا يرعى حقه مقتاً ورفضاً وبغضاً ، وأن ينادوه بأشرف ما يحب من أسمائه ، وأن أحداً منهم لا يجهر له بالقول فى ندائه ، وأثنى على الذين يغضون من أصواتهم عنده ، ووعدهم بالمغفرة والأجر العظيم وسينجز لهم وعده .

عَظِّمْ نبياً عالماً عاملاً
رَبُّ العلا [قد رأى][*] تعظيمه
والزمْ هُدِيْتَ الرُّشد توقيرَه
- ما دمتَ فى الدنيا - وتكريمه
واحذرْ خلافَ أمرِه واتبعْ
تحليله طوعاً وتحريمه

(*) فى الأصل : أوجب ،ولا يستقيم معها الوزن .

واصبـر لكَلْم الضِّد فيـه عـسى

في الحـشـر أن تسـمع تكليـمـه

فقد كان أصـحابه الأبرار يعظمونه كثيراً ، ولا يُمْلون عـيونهم منه إجلالاً وتوقيراً ، وإذا خـرج لا يَحدُّون إليه النظر ، ولا يرفع أحد منهـم إليه بصره إلا أبو بكر وعـمر[1] ، ويجلسـون حـوله كـأنما الطيـر على رؤوسـهم ، ويسمحون في الذب عنه بأموالهم ونفوسهم ، وإذا توضأ ابتدروا إلى وضوئه وأسرعوا إليه ، وكادوا حرصاً على التبـرك به يقتتلون عليه ، ويتلقون بصاقه عليه الصـلاة والسلام ، فيمـسحون به الوجوه ويدلكون به الأجـسام ، وإذا سقطت منه شـعرةٌ تزاحموا على التـقاطها[2] ، ويبادرون إلى امـتـثال أوامره والتلفع برباطها، ويقرعون بالأظافير بابه[3] ، ويؤخرون سؤاله عن الأمر حياء ومهابة ، وإذا تكلم أنصتوا ، وإذا تلا عليهم الذكر أخبتوا .

---

(1) روى الترمذى عن أنس قال : « كان ﷺ يخرج على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر ، فلا يرجع أحدٌ منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر » .

(2) انظر دلائل النبـوة لأبى نعـيم (ص ٣٣٤) ، والبـخـارى (١ / ٥٩ ، ٥ / ٣٨٩) ، والبداية والنهاية (٤ / ٣٦٠) ، والسيرة الشامية (١٠ / ٣٧) .

(3) أى يطرق بأطراف أظافر الأصابع طرقاً خفيفاً بحيث لا يُزعج تأدباً معه ومهابة له . ونص الحديث : عن المغيرة بن شعبة قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافر » وعـزاه المناوى فى فـيض القـدير (٥ / ١٦٥) إلى البـيهـقى فى الشـعب ، والبـزار ، والبـخـارى فى تاريخـه ، والحاكم فى الـكنى ، وانظر مـعرفـة علوم الحـديث للحـاكم (ص١٩)، والحديث حوله كلام لا يضر .

وإذا أرادهـم لأمـــــــرٍ بـادروا

لجـواب ذاك الأمـر لم يتـشـبّتـوا

وإذا نهـاهمُ أعـرضوا عـمـا نهى

ولغـيـر مـا يخـتـــار لم يتلفّتـوا

وإذا أشـار بصمـتـهم لم ينطقـوا

وإذا دعـا أقـــوالهم لم يسـكُتـوا

أكْرِمْ بهم قـــومـاً أقـــامـــوا دينه

وبعـزمهم شَمْلَ الأعـادِى شتّتـوا

فـعليـهـمُ رضـوانُ ربٍّ صـانَهم

أن يعـــبــــدوا من دونه أو يَقْنَتُوا

ويجب أن يحترم بعد مماته ، كما يحترم عليه الصلاة والسلام حال حياته، وذلك عند ذكره وحديثه وسنـته ، ولدى سماع اسمه الشريف وسيرته، فقد كان السلف يعظمون حـديثه الحسن الصحيـح ، ويتلقون الصادر والوارد من سنته الشريفة بكل صدر فسيح ، ويـنصتون إلى سماع أقواله ، ويتأدبون عند ذكر أوصـافه وأفعـاله ، فمنهم من يسكن من حـركته ، ومنـهم من يشرئبّ لوقع بركتـه ، ومنهم من يرتدى بالخضـوع والخشوع ، ومـنهم من تجرى من عينه شآبيب الدموع[٤] ، ومنهم من يغيب ويتـحير ، ومنهم من يصـفر لونه

---

(٤) عن مالك – رحـمه الله – قال : حجَّ أيوب السختـيانى حجتين فكنـت أرمُقه ولا أسمع منه، غير أنه إذا ذكر النبى ﷺ بكى حتى أرْحَمه ، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبى ﷺ كتبت عنه .

ويتغير ، ومنهم من لا يكتب الحديث إلا وهو طاهر ، ومنهم من يكره أن يحدث وهو مضجع أو قائم أو سائر ، ومنهم من إذا طُلِب منه تسميع حديثه المفيد ، بادر إلى الغُسْل والتَّطيب ولبس الجديد[٥] ، فجدّ فى برِّه وتوقيره والاستجابة إليه ، بما كنت تأخذ به نفسك لو كنت بين يديه ، واجتهد فى تبجيله وتعظيمه ، وبالغ فى إجلاله وتكريمه ، واعرف حق قدره، وتأدب عند ذكره ، واستشفع به فى غفر ذنوبك وستر عيوبك إلى من لا يحول ولا يزول ، وتمسك بقوله تعالى : ﴿ **وَلَو أَنَّهُم إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لهُم الرَّسُولَ** ﴾[٦] .

بك يا رسول الله فى غفران ما
أسلفت فى زمن الصبا أتشفعُ
كم من ذنوبٍ قد تحمل كاهلى
شُمُّ الجبال لوقعها تتصدعُ
ما لى سواك أحوم حول جنابه
يا من إليه ذو المساوى يهرعُ
أنت الذى ظُلَمُ الشدائد تنجلى
بسراجه وبه العظائمُ تدفعُ
صلَّى عليك من اصطفاك من الورى
ما لاح فى الآفاق نور يلمعُ

---

(٥) من هؤلاء أمام دار الهجرة الإمام مالك ، والإمام جعفر الصادق، وابن شهاب الزهرى ، وابن سيرين (انظر السيرة الشامية ١١ / ٤٤١) .

(٦) سورة النساء : ٦٤ .

فصـــــل
فى محبة آله وأصحابه ﷺ

من تعظيم رسول الله ﷺ تعـظيم آله الأطهار ، وعتـرته الأبرار ، وذريته الأخـيار، وسـائر المهاجـرين والأنصـار، وإكرام أمـهات المؤمنين أزواجـه ، والسلوك من بَر بِّرهم فى أوضح منهاجه ، وتوقـير من سلف من أصحابه ، ومن لازمه منهم فى ذهـابه وإيابه ، ومعرفـة الواجب من حقوقـهم ، وشيم الوامض من بروقـهم ، والاقتداء بأفـعالهم الصالحـة ، والاقتـباس من أنوار معارفهم الواضحة ، فعظِّم أهل بيـته كما عظَّمتهم العلماء من الناس ، وهم آل على وجعفر وعقيل والعباس[1] ، ووال منْ والاهم ، وعادِ من أبغـضهم وعاداهم ، وتمسك بحـبل حبهم فـهو دليل على الإيمان ، واجتهد فى تقديم قريش وعاملهم بالإحسان ، فـمعرفة مكانة آله براءة من النار ، والولاية لهم أمـانٌ من البـوار ، وحـبـهم جـواز على الـصـراط ، وباب إلى منزل الحظ والاغتـباط ، ومن أحب الحسن والحـسين ، وأمهمـا الزهراء ذات النورين ، وأباهمـا المعروف بالبـسالة والشـهـامة ، كـان مع المصطفى فى درجتـه يوم القيامة[2] .

لا تَعْدُ عن سُنَن الرسـول محـمد

والزمْ مـــحــبـــة آلـه الأطهـــارِ

---

(١) انظر مـسلم فى فضائل الصحابة (٣٦) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٢ / ١٤٨ ، ٧ / ٣١) ، وتفسير البغوى (١ / ٣٠٠) .

(٢) انظر نص الحديث فى الترمذى ، وحسنه .

وَقـر وعَظِّم قـدرَ عتـرِته ومن

يُنْمَى إلى الـذرية الأخـيـارِ

واسلكْ سبيلَ كرامةِ الزوجاتِ والأ

ولاد والأعـوان والأنصـارِ

وارفع لأهل البـيت راياتِ الولا

تجـد الوقـاية من عـذاب النارِ

وقد حضَّ النـبى ﷺ على حبهم ، ونبَّه عـلى رفعة شـأنهم عند ربهم ، فقال آتاه الله الفضيـلة وأناله غاية سوله : « لا يدخل قلب رجلٍ الإيمان حتى يحبهم لله ورسوله[٣] » وعظمهم إذ قرنهم بكتاب الله أين كانوا وحيث حلوا، فى قوله : « إنـى تاركٌ فيكم ما إنْ استمسكتم به لن تضلوا »[٤] وقال فى على : « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه»[٥]، وقال فى عمّه العباس : « من آذى عمّى فقد آذانى »[٦] وقال : « أنشدكم الله فى أهل بيتى » ولعمـرى إنها إشارة لطيفة المعانى ، ويكفـيهم قول من خلق

---

(٣) ونص الحديث : عن عبد المطلب بن ربيـعة عنه ﷺ أنه قال : « والذى نفسى بيده : لا يدخل قلب رجل الإيمان حـتى يحـبكم » يـعنى العـباس وأولاده (أحـمـد ٤ / ١٦٥ ، والترمذى ١٠ / ٢٦٣) .

(٤) انظـر الحديث بنصه فى التـرمذى (٣٧٨٨) وحسنه ، ومسند أحـمد (٣/ ١٤ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٥٩)، وشرح السنة (٣٨٠٧) .

(٥) انظر مـجمع الزوائد (٩ / ١٠٣) ، ومسند أحـمد (٥ / ٤١٩) ، ومعـجم الطبرانى الكبير (٥ / ٢٣٠) .

(٦) قال الـنبى ﷺ : « من آذى العبـاس فقـد آذانى ؛ فإنما عَمُّ الرجل صِنو أبـيه » أخـرجه الترمذى فى قصة (١٠ / ٢٦٣ - ٢٦٦) .

كل شيء فقدره تقديراً : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[7] .

إن خفت من سبع الذيوب وبطشه

فالزم ولاء الخمسة الأشباحِ

أهل الكساء الطاهرين ذوى التقى

سفن النجاة وراحة الأرواحِ

وبهم تمسك حين يعتكر الدُّجى

تلق الرِّضا من فالق الأصباحِ

واستغفر لأصحاب رسول الله ﷺ على كل الأحوال ، وأمسك عما شجر بينهم من الأقوال والأفعال ، وأظهر سيرتهم الحميدة، وبيِّن فضائلهم العديدة، واهتد بأعلام علومهم المرتفعة ، وارفض من عاداهم من ضُلاَّل الشيعة والمبتدعة ، وانظر إلى قول من خلق الإنسان من صلصال كالفخار : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله والَّذينَ معهُ أَشداَّءُ على الكُفَّار ﴾[8] ، وإلى قول من أبطل بآى كليمه ما جاء به السحرة : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ الله عَنِ المؤمِنينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[9] ، وإلى قول من يرجع الأمر كله إليه : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْه ﴾[10] . وقد قال أشرف الخلق وسيد البشر : « اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر »[11] وقال عليه الصلاة والسلام : « ومَثَلُهم

---

(7) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(8) سورة الفتح : ٢٩ .

(9) سورة الفتح : ١٨ .

(10) سورة الأحزاب : ٢٣ .

(11) أخرجه الترمذى (١٠ / ١٤٩) ، والبغوى فى شرح السنة (٣٧٨٧) ، وانظر مشكل الآثار للطحاوى (٢ / ٨٣ - ٨٧) .

كَمَثَلِ الملح فى الطعـام »[12] وقال من حـديث يتشنف به السمع وتتـشرف به الصـحـيـفـة : « لو أنفق أحـدكم مـثل أُحُد ذهبـاً مـا بلغ مُدَّ أحـدِهم ولا نصيفه»[13] .

تمسَّك بـالأوامـــر من رســـولٍ
كـريمٍ ناشـر فـضـلِ الصـحـابه
ولازمْ حـبَّهم واسـتـوصِ خـيـراً
بـكـلِ مـنـهـمُ وارفـعْ جـنـابـه
وأكـــثـــرْ من ثنائـك كلَّ وقتٍ
عليـــهمُ حـائزاً أجـــر الإصـابه

فمن أحـسن الثناء عليهم برئ من النفاق ، ومـن أحبهم أحرز فى مـيدان الإيمان خصل السباق ، ومن تبعهم أدرك ما يروق مما يروم ، ومن اقتدى بهم اهتدى لأنهم كما قال عليه السلام : « أصحابى كالنجوم »[14] . ومن قابلهم بالعز حُظـى فى دار البقاء بالملابس الـفاخرة ، ومن حـفظ رسول الله فـيهم

---

(١٢) انظر كـشف الخفـا (٢ / ٣٧٥) وعـزاه لابن المبـارك فى الزهد (٥٧٢) ولأبى يعلى (١٥١/٥) وقال: فيه إسماعيل بن المكى ضعيف انفرد به عن الحسن البصرى .

(١٣) أخرجه مسلم (٢ / ٢ / ١٦٦) من حديث أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبـوا أصحـابى ، فوالذى نفـسى بيده لو أن أحـداً أنفق مثل أُحُدٍ ذهبـاً ما بلغ مُدَّ أحـدِهم ولا نصـيفـه » ، وأخـرجـه أحمـد (٣ / ١١) ، ومـسلم (٤ / ١٩٦٧) ، والبخارى (٣٦٧٣) ، وأبو داود (٢ / ٢٦٦) ، والترمذى (١٠ / ٣٦٣) من حديث أبى سعيد الخدرى . والنصيف بمعنى النصف .

(١٤) عزاه فى كشف الخـفاء (٣٨١) إلى البيـهقى والديلمى والحديث حـوله كلام ، وانظر مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٢ ، ٢٢٣) .

حفظه الله فى الدنيا والآخرة ، فضَّلهم الله بصحبة سيد المحسنين والمجملين، واختارهم على العالمين سوى الأنبياء والمرسلين .

أصحــاب هادى الورى قومٌ لهــم شرفٌ
بالقــربِ منهم خـصــوصــاً أول العَشَرَه

جــاءوه واســتمـعــوا مــا قال واتبـعــوا
وبايعــوا تحت أغـــصــانٍ من الشـجـره

يكفـــيـــهم أنَّ خـــيـــر الرسل أكْرَمَهُم
وأنهـم أفـــضــل الأخـــيـــار والبـــرره

مِنِّى علـيـــــهم ســــــلامٌ طـيبٌ أَرَجٌ
مــا أظهـر البـحــر من قــامــوسـه دُرَرَه



فصــــل

فى زيارة قبره[1] وتعظيم مواطنه ﷺ

زيارة قبر النبى ﷺ سنة جميلة، أجمع المسلمون عليـها ورغَّبوا فيما لديها من الفضيلـة ، فمن زاره بعد وفاته ، فكأنما زاره فى حـال حياته ، ومن زار قبره دخل فى جواره المنيع ، وكان فى شفاعته يوم لا حميمٌ يطاع ولا شفيع، ومن أقام بمدينته طيبة حُظى بطيب ثراها ، ومن مـات بها ظفر بشفاعة مَنْ به كَثُرَ ضيفـها وقراها ، وأقصدْ مـسجده الذى تشدُّ الرِّحـال إليه ، وفز بزيارته والسلام عليه وعلى صاحبيه ، ولا ترفع صوتك فى مسجده ، وكن ممن ظهر فى الأدب حُسْن مقـصده ، واتَّبع السلف الصالـح فى تعظيمه ، وبالغْ كـما بالغوا فى إجلاله وتكريمه ، وتبرَّك بروضته ومنبـره ومواطن قدميه ، وشرِّف نظرك بمكانٍ جبريل ينزل فيه بالوحى عليه .

زرْ قبـرَ مَنْ شمس الضـحى عِدله
لمـا بـدت ولـىَّ ظـلام الـشـطَطْ
كـيـمـا ترى نفـسك فى روضـةٍ
فى أرضـهـا زهر القـرى يُلتـقطْ

---

(١) انظر أقـوال العلمـاء فى تلك المسـأله فى: السيـرة الشـاميـة (١٢ / ٣٨٠) ، والشفـا (٢/٨٣) ، ومـثير الغرام السـاكن لابن الجوزى (ص ٤٨٦) بتحقـيقنا ، وشفاء السـقام للسُّبكىَّ ، والصـارم المنكى ، وفـتح البـارى (٣ / ٧٩) ، ووفـاء الوفـا للسمـهـورى (ص١٢٣٦) .

واهرع إلى طيبة تلك التى

جود أبى الطيب فيها انبسطْ

وانزل بها فى مسجدٍ منجدٍ

جبريل فى أرجائه كم هبطْ

يا له مسجداً أسس على التقوى ، ومعبداً أفلح من تمسك بسببه الأقوى ، فيه روضة من رياض الجنة ، ومنه انتشرت أعلام الكتاب والسنة ، وفيه بقعةٌ هى أفضل البقاع فى الأرض[٢] ، كيف لا وقد ضمت أعضاء الشفيع المُشَفَّع يوم العرض ، وأكثرْ من الصلاة فى نواحيه تحظ بالنعيم والإنعام ، فصلاة فيه خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، لأنه مسجدٌ وافر المآثر ، زاهر المشاعر ، صالح المناسك ، واضح المسالك ، عميم النعمة ، عظيم الحرمة ، شريف المواقف ، مطهر للطائف والعاكف ، مرفوع القواعد ثابت الأساس ، جعله الله أماناً ومثابة للناس ، نامى البركات وافى التعظيم ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾[٣] بنص العزيز الجبار ، ومن حجه ثلاث حجج حرَّمه الله على النار[٤] ، واجتهد فى تقديس مشاهده، وإقامة شعائر مساجدة ، وتعهد معالمه ومعاهده ، وتطهير مواقفه ومعابده ، وتشريف أماكنه المكينة ، وتمجيد مواطنه من مكة والمدينة .

---

(٢) محل الخلاف فى التفضيل بين مكه والمدينة فى غير قبره ﷺ ؛ أما قبره فأفضل البقاع بالإجماع ، بل وذكر بعضهم أنه أفضل من الكعبة .

(٣) سورة آل عمران : ٩٧ .

(٤) ينظر من أخرجه إذ لم أعثر عليه فيما تحت يدى من مراجع وإن كان قد ورد كثيراً فى كتب المناسك .

حُثَّ المسيرَ إلى نحـو الحجاز ولا

تقفْ وسلِّم على عربٍ بذى سلمِ

وانزلْ بمكة خـيرِ الأرض مقـتفـياً

آثار أقـدام سـر الكونِ فى القـدمِ

واجنح لكعـبـتـهـا والمروتين بهـا

والعرف من عـرفات موقف الأممِ

والحِجْرَ والحَجَرَ السامى وخيف منى

وكل موضـع نُسُكٍ حَلَّ فى الحرمِ

أكرم بها مواطن عمرت بقـاعها بالوحى والتنزيل ، وزهرت ربوعها بتردد جبريل وميكائيل، وعلت بهبوط الملائكة وعـروجها ، وسمت بقمرها الطالع فى الأفلاك بروجها ، وتنسَّمت بالتلاوة نفـحات أسحارها ، وتبسَّمت بالذكر ثغـور زهور أشجـارها ، وأشرقت بالتكبـير والتـهليل سمـاؤها ، وتأرجت بالتسبيح والتقـديس أرجاؤها ،وضمَّ رغامها[5] أعضاء سيد البـشر ، وانتشر عنها من دين الله ورسوله ما انتشر ، ويا لها مدارس آيات ، ومراكز رايات ، ومسـاجد صلوات ، ومنازل البركات الـوافرة ، ومحل المعجـزات الباهرة ، ومنشأ السـراج المنير ، ودار هجرة الـبشير الـنذير ، ومهبط غـيث الرسالة ، وموطن مـوضح الدلالة ، ومطلع فجـر النبوة ، ومعـدن الفتوى والفـتوة ، ومناسك الحجاج والمعتمرين ، ومـحط رحال الآمرين والمؤتمرين ، فجدير بها أن تحتـرم جدرانها ، وتستلم أركـانها ، ويرفع مقامـها ، وتنشر أعلامـها ،

---

(٥) الرُّغام : التراب .

ويحمى حماها ، ويرعى ماؤها ومرعـاها ، ويُستاف عَرْف روضتها ، وتُعَفَّر الوجنات فى جنات تربتها .

طـوبـى لمـن يأتـى لمـكـة لائـذاً
بمشـاعـرٍ جَلَّت عن الأوصـافِ
ويُعَظِّمُ البـيت العـتـيق مـجـدداً
فـيـه برود الـسـعى والـتطوافِ
ويسـير كى يحظى بسـاكن طيبـةٍ
ويواصل الإعـناق[٦] بالإيجـافِ[٧]
ويقـبل الأحـجـار من حـجراتهـا
حـبـاًّ لمـن يرتاح للأضـيـافِ
أعنى رسـول الله كـشَّاف العنا
ذا العـدل والإحسـان والإنصـافِ
صلَّى عليـه الله مـا سقت الثـرى
عين الغـمـام بدمعـهـا الوكَّافِ[٨]



---

(٦) العَنَقُ : ضرب من السير فسيح سريع ، للإبل والخيل .
(٧) الإيجاف : ضرب من السير السريع .
(٨) الوكَّاف : يقال وكف الدمع : سال وقطر قليلاً قليلاً .

فصـــل

فى الصلاة عليه ووجوبها وفضلها ﷺ

الصلاة على رسول الله ﷺ واجبةٌ فى الجملة[1] ، فليأت بهـا من آمن به واتخذه للهداية قبلة ، وليكثر فى غالب أوقاته منها ، وليـواظب عليها ولا يَغْفُل عنها ، خـصوصاً يوم الجمعـة من كل أسبوع ، فقـد ورد الأمر به عن أوس فى حديثه المرفوع[2] ، ومن العلماء من أوجـبها فـى الصلاة ومنهم من استحبها فيها على ما رآه[3] ، ومن سأل الله شيئاً فليبدأ بحمده والثناء عليه ، ثم ليُصَلّ على من تحرَّك الساكن ونطق الصـامت بين يديه ، فهو أجدر بنجح المقال ، وأحرى بالإجابة للسـؤال ، والدعاء بين الصلاتين عليه لا يُرَد ، ولا يُطْرَد عن باب القـبـول ولا يُصَد[4] ، ومـا من دعاء إلا وهـو دون السمـاء

(١) قال ابن حزم وأبو بكر الرازى الحنفى والقرطبى المفسر وغيرهم : لا خلاف فى أن الصلاة عليه فرضٌ فى العمر مرة ، وأنها واجـبة فى كل حين وجوب السنن المؤكدة ، ولا يغفلها إلا من لا خير فيه .

(٢) ونص حديث أوس بن أوس عن أبى أمامة أن النبى ﷺ قـال : « أكثروا من الصلاة على فى كل يوم جمعة ، فإن صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صـلاة كان أقرب منى منزلة » وانظر جلاء الأفـهام (ص٢٢٧)، والسيرة الشامـية (١٢ / ٤٤٤) . ولعل الحكمة من إكثار الصلاة عليه فى يوم الجمعة أنه أفضل أيام الأسبوع .

(٣) انظر آراء العلماء فى تلك المسألة فى جلاء الأفهام لابن القيم (ص ١٨٠ - ٢٠١) وهو كلام نفيس ..

(٤) ذكر ابن القـيم ثلاث مراتب للصـلاة على النبى ﷺ عند الدعاء ، إحـداها : أن يصلى عليه قبل الدعاء وبعد حمـد الله تعالى ، وثانيها : أن يصلى عليه فى أول الدعاء وأوسطه وآخره ، وثالثها : أن يصلى عليه فى أوله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما .

محجوب ، فإذا اقترن بالصلاة عليه صعد وسَعِدَ بالمطلوب ، ومواطن الصلاة عليه : عند ذكره[٥] ، وحين سماع اسمه وحديثه النامى دُرُّ بحره ، وفى الأواخر من الكتب بعد الأوائل ، ولدى الآذان[٦] ودخول المسجد[٧] وفى الرسائل، وفى تشهد الصلوات وعلى الجنائز [٨]، والمكثر من الصلاة عليه بالقدح المُعَلَّى فائز ، فَرَغِمَ[٩] أنف امرئٍ لم يُصَلِّ عليه إذا ذكر عنده ، وحسب المصلى عليه أن الملائكة تستغفر له وتشكر قصده .

صلّوا على خير الورى تَفْلَحوا
في هذه الدنيا وفى الآخره
واستكثروا منها تنالوا البقا
في جَنَّة روضتُها ناضره

---

(٥) أوجبها الإمام الحليمى والإمام الطحاوى ؛ وقال غيرهما : ذلك مستحب وليس بغرض يأثم تاركه (انظر جلاء الأفهام ص ٢١٤ - ٢٢٣) .

(٦) روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا علىّ فإن من صلَّى علىّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لى الوسيلة . . . » .

(٧) روى النسائى وابن ماجة عن أبى حميد الساعدى قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبى ﷺ ثم ليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل : اللهم إنى أسألك من فضلك » .

(٨) لا خلاف فى مشروعيتها فيها ، واختلف فى توقف صحة الصلاة عليها ، قال الشافعى وأحمد - رحمهما الله - فى المشهور من مذهبهما : أنها واجبة ولا تصح الصلاة إلا بها. وقال مالك وأبو حنيفة - حمهما الله - : تستحب وليست بواجبة ، وهو وجه لأصحاب الشافعى (جلاء الأفهام ص ٢٠٤) .

(٩) رَغِم : لصق بالتراب وهو الرغام وهو كناية عن حصول غاية الذل والهوان. وقال ابن الأعرابى : هو بفتح العين : أى ذل .

ربُّ العــلا صلَّى عليــه كـمــا

قــد جـــاء فى آياته البـــاهره

والأمـــر مـعـــروف بهـــا ظاهرٌ

والعَرْفُ منـهـا ريحـــه عـــاطره

ومن صلَّى عليه صـلاة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحُطَّت عنـه عشر خطيئـات ، وصَلَّت عليـه الملائكة الـكرام ، ومن سلَّم عليـه حـيَّاه السَّلامُ بالسَّلام ، ومن أكثـر من الصلاة عليه كُفِى وغُفِر ذنبـه ، ونجا من أهوال يوم الآزفة وكَرَّ عنه كربه ، ومــن صلَّى عليه فى كتابٍ فاز بجـزيل الثواب ، ولم تزل الملائكة تستغفرُ له مـا بقى اسمه فى ذلك الكتاب[١٠] ، ومن سلَّم عليه عشـراً فكأنما أعتق رقبة ، والصــلاة عليه تمحو مـا أسلفه المصلى من الذنوب واكتسبه ، والمكثر من الصلاة عليــه أولى الناس به يوم القيامة ، وما من أحد يسلم عليــه إلا رَدَّ الله روحه حـتى يَرُدَّ سلامه ، ومن صـلَّى عليه عند قـبره الكريم سمعه[١١] ، والسلام عليه يُؤْتَى إليه فى كل ليلة جمعة ، ولله ملائكة سيَّاحـون تبلغه السلام عن أمـته ، واليوم الأزهر والليلـة الزهراء يؤديان إليه صلاة أهل ملته[١٢] ، فأكثـرْ من الصلاة عليه فإنها مفـروضة ، وصلَّى عليه

---

(١٠) قال السخاوى فى مـسنده من اتهم بالكذب . وقال الذهبى : أحسبه مـوضوعاً . وقال ابن كثير : ليس هذا الحديث بصحيح ، وقـال الشوكانى فى الفوائد المحموعة : روى من طريق ضعيفة جداً (ص ٣٢٩) .

(١١) عزاه فى « جلاء الأفهام ص ٢٢) إلى أبى الشيـخ فى كتاب « الصلاة » وقال : غريب جداً . انظر الفوائد المجموعة (٣٢٥) وله شواهد كثيرة فى اللآلىء .

(١٢) عزاه فى السيرة الشامية إلى (١٢ / ٤٤٤) إلى ابن بشكوال فى كتابه « الصلاة النبوية» وقال: سنده ضعيف. وعزاه أيضاً للبيهقى.

حيثمـا كنت فإن صلاتك عليه معروضة ، والبـخيل من ذكر عنده فلم يصلِّ عليه ، صلَّى الله عليه وأنزله المنزل المقرب إليه .

إذا أنت أكثرت الصلاة على الذى

هداك إلى الإســلام فــزت بقُربهِ

وكنت بـه أولى من النـاس كلِّهم

ونلـتَ ثوابـاً وافـــراً عـند ربِّهِ

فـــصلِّ عـليـــه ثم ثَنِّ بـآله

أولى الفضل والتـقوى وثلِّث بصحـبهِ

وسلِّم عليـهم فالسلامُ من الـفتى

يؤدي إلى غـفـرانِ ســائر ذنبـهِ

اللهم اجعل أفـضل صلواتك ، وأكمل تحيـاتك وبركاتك ، على محـمد أمينك المأمون ، وسادن علمك المخزون ، وشـهيدك يوم المحشر ، ورسولك إلى الأسود والأحمر ، والصادق فيـما نطق ، والخاتم لما سبق ، والهادى من الأضاليل ، والدامغ رؤوس الأباطيل ، والذى كان حافظاً لـعهودك ، وواقفاً عند حدودك ، قاضياً بأحكام وحيك ، ماضياً على نفاذ أمرك ونهيك ، حتى أورى القبَسَ(١٣) ، ومـحا آية الـغَلَس ، وأوضح الأعلام ، ومـهـدَّ قواعـد الإسلام، اللهم آته الوسيلة والفضيلة ، وأنله الدرجـة العالية الجليلة ، وابعثه المقام المحمود ، وأنجزْ فى القيامة له الموعود ، وأكرمْ مثواه ونُزُله ، وحقق من فضلك العظيم أمله ، وصرِّفه فى المعادن من عدنك ، وضاعف له الخير بمنِّك

(١٣) القَبَسَ : النار .

ويُمْنِك ، وتقبَّل شفاعته الكبرى ، وبلغه بنظرك إليه نهاية البشرى ، وفجِّر له عيون عنايتك تفجيراً ، واجعل له من لدنك سلطاناً نصيراً ، اللهم صلِّ على سيدنا محمد المختار، وعلى أهل بيته الأطهار ، وعلى آله وأولاده وأصحابه، وعلى أزواجه وخاصته وأحبابه ، وعلى الأنصار والأعوان ، وعلى التابعين لهم بإحسان ، صلاةً مقرونةً بالتسليم والتفضيل ، مشتملةً على التكريم والتشريف والتعظيم والتبجيل .

يا خاتمَ الرُّسل ويا من له
ظلٌّ على من يرتجيه ظليلْ

يا معدنَ الجود وبحرَ النَّدى
يا صاحبَ القدرِ النبيهِ النبيلْ

يا من إذا ما أمَّه قاصدٌ
يلقاه بالوجه الجلى الجليلْ

كن لى شفيعاً فى ذنوبى فقد
أُلْقِيتُ منها تحت حمل ثقيلْ

وانظر لحالى واسقنى شربةً
من حوضك الحالى تروى الغليلْ

إنى تطفَّلتُ على مادحى
وصفِ معاليك الأثير الأثيلْ

إذ قُلتُ فى مــدحك مـا قلـتـهُ
وَهْوَ قليلٌ مـن كـثـيـرٍ جـزيلْ

فـــاقـــبـلـه مِنِّى وأنـلـنـى به
جـائزةً حـــائزةً للجـــمـيـلْ

فـضلك لا يحـصـره واصفٌ
إنَّ الدَّرارى حـصرها مـستحـيلْ

صلَّى عـلـيـك الله رب العـــلا
والعـرش مـا هبَّ النَّسيم العليلْ

والحـــمــد لله عـلـى فـضـلِه
وحـــسـبنا الله ونعـم الوكـيلْ

نجز إمـلاء قلم الكاتب ، وانتهى مسير « **النجم الثاقب** » ، بتيسـير من أرشد إلى المعرفة وألهم ، وتوفيق من علَّم الإنسان ما لم يعلم ، عليه توكلت وإليه أنيب ، وهو المسئول فى بلوغ المأمول إنه قريب مجيب .

قال مـؤلفـه عفـا الله عنه : بدأت فى إنشائه يوم الأربعـاء ثالث جـمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وسـبعمائة ، وفرغت منه يوم الأحد مـستهل شوَّال من السنة المذكورة ، والحمد لله ربِّ العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغى لعزِّ وجهه وكرم جلاله(*) .

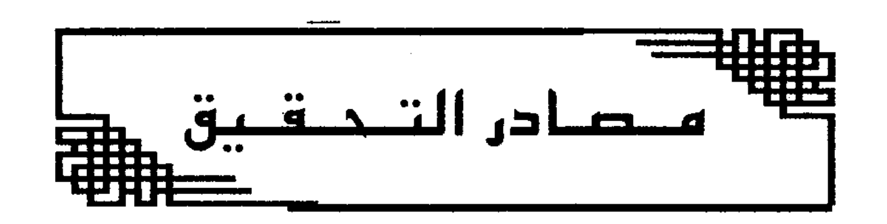
(*) وكان الفراغ من كتـابة هذه الحواشى ليلة الجمعة المباركة لست وعـشرين خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٤١٦ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، على يد العبد الفقـير المقـر بالذنب والتقـصير مـصطفى بن محـمد بن حـسين الذهبى غفر الله لـه ولواليه ولإخوانـه من المسلمين، والحمـد لله رب العالمين وصلى الله على سـيدنا مـحمـد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.



الفهارس الفنية

* فهرس الآيات القرآنية .
* مصادر التحقيق .
* الفهرس الموضوعى .

فهارس الآيات القرآنية



مصادر التحقيق

* إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، للزبيدى ، دار الكتب العلمية ١٤٠٩ هـ.

* الإحسان فى ترتيب صحيح ابن حبان ، لأبى الحسن على بن بلبان الفارسى، مؤسسة الرسالة، تحقيق ، شعيب الأرناؤوط ١٩٨٨ .

* الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ .

* أسد الغابة ، لعز الدين أبى الحسن على بن محمد الجزرى ابن الأثير ، كتاب الشعب القاهرة .

* إعلام الساجد بأحكام المساجد ، لبدر الدين الزركشى ، طبعة أولى ، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية .

* الإصابة فى تمييز الصحابة ، لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار الجيل ، ١٩٩٢ م .

* الأصنام ، لهشام بن محمد السائب الكلبى ، تحقيق أحمد زكى باشا ، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣ هـ .

* أعلام النبوة ، للماوردى ، راجعه طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩١.

* الأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلى ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م .

* إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون الشهير « بالسيرة الحلبية » للبرهان الحلبى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٨٤ هـ .

* البداية والنهاية ، لإسماعيل بن عمر الدمشقى المعروف بابن كثير، تحقيق أحمد فتيح ، دار الحديث ١٩٩٢م .

* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الشوكانى بمطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٨هـ.

* تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ، إصدار وزارة الإعلام فى الكويت .

* تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفورى ، دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ .

* تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، لابن حبيب ، دار الكتب المصرية ١٩٧٦ م .

* تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لأبى الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، وعبد الله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية ١٤٠١ هـ .

* الخصائص الكبرى ، للسيوطى، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الدكن ١٣٢٠هـ .

* الدرر فى اختصار المغازى والسير ، لابن عبد البر ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

* الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر، القاهرة دار الكتب الحديثة ١٣٨٦هـ.

* دلائل النبوة ، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله دائرة المعارف بحيدر آباد ١٣٢٠ هـ .

* دلائل النبوة ، للبهيقى أحمد بن الحسن ، تحقيق عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ .

* الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام، لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، القاهرة ١٣٨٧ هـ .

* زاد المعاد فى هدى خير العباد ،لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية ١٣٩٩ هـ .

* سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ، لمحمد بن يوسف الصالحى الشامى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢ هـ وما بعدها .

* سنن ابن ماجه، لأبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى القاهرة .

* سنن الدارقطنى ، لأبى الحسن على بن عمر الدارقطـنى البغدادى ، وبذيله التعليق المغنى لأبى الطيب محـمد شمس الحق العظيم آبادى ، صحـحه عبد الله هاشم الـيمانى ، دار المحاسن القاهرة ١٣٨٦هـ .

* السنن الكبرى ، لأبى بكر أحـمد بن الحسين البيهـقى دار المعارف العثمانيـة ، حيدر آباد الهند ١٣٤٤ هـ.

* السنن الكبـرى ، للنسائى ، تحـقيـق د. البغـدادى وسيـد كسـروى دار الكتب العلميـة ١٤١١هـ.

* السير والمغازى ، لمحمد بن إسحاق ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ١٣٩٨هـ .

* السيرة النبوية لعـبد الملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، وآخـرين ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٣٧٥هـ.

* السيرة النبوية ، لابن حبان البُستى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٠٧هـ .

* شذرات الذهب فى أخبـار من ذهب ، لأبى الفلاح عبد الحى بن العـماد الحنبلى ، نشر مكتبة القدسى ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

* شرح السنة ، لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغدادى ، مطبعة دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م .

* شرح السيرة للخشنى .

* شرح صحيح مسلم ، لمحى الدين يحيى بن شرف النووى ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .

* شرح المواهب اللدنية ، الأزهرية ١٣٢٥ - ١٣٢٨ هـ .

* شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، لأبى الطيـب محمد بن أحمد بن على الفاسى المكى ، دار الكتاب العربى ١٩٨٥ .

* الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضى عياض ، دار الكتب العلمية .

* الشمائل المحمدية ، للترمذى ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

* طبقات الشافعية ، لابن قاضى شهبة ، عالم الكتب ، ١٤٠٧ هـ .

* عون المعبود شرح سنن أبى داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادى ، دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ .

عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، لمحمد بن محمد سيد الناس، دار التراث ، المدينة المنورة ، ١٤١٣ هـ .

* غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام - دائرة المعارف - حيدر آباد .

* فتح البارى شرح صحيح البخارى ، لأحمد بن على بن حجر العسقلانى ، طبع الرئاسة العامة للإفتاء ، المملكة العربية السعودية الرياض .

* كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى ، مكتبة القدس ، القاهرة .

* كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة، وكالة المعارف ١٩٤١ ، ١٩٤٣ م .

* اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، لجلال الدين أبى الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، دار المعرفة.

* مختصر تاريخ دمشق ، لابن منظور ، دا ر الفكر ، ١٤٠٤ هـ .

* مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبى عبدالله أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربى .

* الموضوعات ، لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، ١٩٨٣ م .

* النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لأبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى، دار الكتب المصرية بالقاهرة .

* نهاية الأرب فى فنون الأدب ، لأحمد بن عبد الوهاب النويرى، طبع منه بمصر ٣١ جزء.

* النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوى ، ومحمود الطناحى دار إحياء الكتب العربية القاهرة .

* هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل باشا البغدادى البابانى ، دار الفكر ١٩٨٢ م .

* وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، لنور الدين على بن أحمد السمهودى ، تحقيق محمد محيى الدين ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٤ م .

* الوفا بأحوال المصطفى، لأبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت .

الفهرس الموضوعى

فصول الكتاب

الفهارس الفنية

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١